5me Année No. 442

Lundi - 22 - 12 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاشتراكات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٤٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٤ ذو الحجة سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهرس

صفحة		
١٥٢٩	على ذكرى « عيد الميلاد »	أحمد حسن الزيات ... ...
١٥٣١	ديوان حافظ إبراهيم ...	الدكتور زكي مبارك ... ...
١٥٣٥	الوضع الاجتماعي للمرأة في الاسلام	الأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر
١٥٣٨	بين موسيه وخالد الكاتب	الأستاذ صلاح الدين المنجد
١٥٤٠	التفسير الكيميائي لأعمال العقل والحياة	الأستاذ حسين الظريفي المحامي
١٥٤٢	مدرسة	الأستاذ أحمد الطاهر ...
١٥٤٤	قيمة الحرية	الصحافي العالمي ويكهام استيد بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة
١٥٤٦	المصريون المحدثون : ... شمائلهم وعاداتهم	للمستشرق إدورد وليم لين بقلم الأستاذ عدلي طاهر نور
١٥٤٩	اللحن الجديد [قصيدة]	: « الشاعر المجهول » ... ...
١٥٥٠	الزنبق ... ... «	: الأستاذ خليل مردم بك ...
١٥٥١	خبر وعبر	: الأستاذ محمد محمود رضوان
	رسالة المعلم الالزامي وكيف ينبغي أن تكون	الأستاذ محمود محمد عيد ...
١٥٥٢	خطأ في كتاب الفصل ...	: الأستاذ جواد كاظم ... ...
	بين صبري وابن دريد ...	: الأديب حسين محمود البشبيشي
١٥٥٣	أيهما أصلح لتعليم الأطفال المعلم أم المعلمة	الأستاذ علي عبد الله ...
١٥٥٤	المليتة ... ... [قصة]	الكاتب الفرنسي جي دي موبسان بقلم الأديب كمال رستم ...

على ذكرى « عيد الميلاد »

بعد ثلاثة أيام تتجدد ذكرى « مولد المسيح » فيقف أبناء « قابيل » آلة الحرب ؛ ثم يخرون جاثين لله في الثكنات والمطارات والبوارج والخنادق والمخابئ والكنائس يرتلون حاسرين نشيد السلام المأثور :

« المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ! »

فإذا أصبحوا انقلبوا سراعاً إلى آلات الفناء فأرسلوا منها الصواعق على إخوانهم الذين هتفوا معهم بالمجد لله في السماء ، وبالسلام على الأرض ! فسحقوهم أو أحرقوهم على رمال لوبيا ، وفوق ثلوج روسيا ، وبين أطباق الهواء ، وتحت أعماق الماء ؛ كأنما اختلت الدنيا ، واختبلت الناس ، وانقلبت المعاني ، فصار الدين معناه الكفر ، والسلام معناه الخصام ، والمفاوضة معناها القتال ، والمعاهدة معناها الغدر ، والأخوة معناها العداوة ؛ وأصبح هذا الكوكب بقاراته ومحيطاته وسكانه كرة من النار تتقاذفها الأرجل الحديدية بين فريق هتلر وموسوليني والميكادو ، وفريق تشرشل وروزفلت وستالين . ولا يدري إلا الله من سيقذفها في (الجول) ؛ وما الجول هنا إلا عبودية الأبد أو حرية الأبد !

كان العالم المسيحي في مختلف أقطاره يجدد بعيد الميلاد

ما انطمس فى نفسه من معانى المودة والرحمة والأسرة والطفولة ، فيصل بالتزاور ما انقطع من أسباب القرابة ، ويؤكد بالهادى ما وهى من عرى الصداقة ؛ وكان الميكادو على وثنيته يقوم بدور الشيخ الطيب « نويل » ، فيحمل اللعب من اليابان بأبخس الأثمان إلى كل بيت فيه طفل ؛ فلما صُلِبت المسيحية فى أوربا على صليب النازية المعقوف ، انتكست الطباع وانعكست الأوضاع ، وانكفأ بعض الشعوب إلى البربرية الأولى ، يغالبون بعصبية الجنس ، ويسودون بأس الحديد . وجامل الميكادو فى الشر كما جامل فى الخير ، فترك دور الشيخ « نويل » وقام بدَور الأب « فُويتار[1] » ، فاستبدل بلعَب الأطفال من صور الدبابات والطائرات والسابحات ، قطعاً كالجبال من الحديد والبارود تدك مدائن البر ، وتبتلع جزائر البحر ، وتشعل النار فيما بقى من أطراف الأرض ، حتى أوشك أن يجاوز الصواب قول الفلكيين إنها كوكب مظلم !

* * *

بعد ثلاثة أيام تعاود الناس ذكرى ليلة الميلاد وهم من تفاعل المذاهب والقرون فى رجفة من الصراع الماحق توشك أن تقيم عليهم القيامة . وسيذكر الشباب المجندون لمجالدة الحق أو مجاهدة الباطل أنهم كانوا فى مثل هذه الليلة أمام المواقد أو حول الموائد قرة عيون وزينة بيوت ، وأنهم فى هذا اليوم يستقبلون عيد الحياة وهم مشردون فى مجاهل الأرض ومساقط الموت لا يعرفون متى يصرعون ولا أين يقبرون . ثم يقول هذا الشباب الرِّيق الريان لنفسه : أبعد التربيب والتهذيب والعيش الناعم والأمل الباسم والغد المرجوّ نصير طعيناً لهذه الرحا الهائلة من غير سبب موجب إلا نزوة من نزوات الطيش ، فى رأس رجل من طلاب العيش ؟ !

أما الستة الذين يحاولون أن يقرروا مصير العالم على مشيئة الله أو على هوى الشيطان ، فسيذكرون بمولد المسيح أشياء أخَر : سيذكر هتلر بيلاطس وديُقليانوس ، والدنشى يهوذا ونيرون . وسيذكر رزفلت بولس ، وتشرشل قسطنطين ؛ أما استالين إن ذكر فسيذكر لوثر ؛ وأما الميكادو فلا يذكره العيد معنى من حياة المسيح ، ولا مغزى من تاريخ المسيحية ؛ إنما يذكره تلك اللعب التى كان يقدمها إلى لهو الأطفال ليربح من ورائها القروش ، فأصبح اليوم يقدمها إلى قتل الرجال ليربح من ورائها الملايين !

* * *

سبحانك ربّ السموات والأرض ! ما كان لنفس مؤمنة أن تحسبك تركت أمر هذا العالم لهؤلاء الحمق من خَلقك .

لا جرم أن لك من هذه القارعة الصغرى حكمة تدق على بصيرة ابن آدم

إن مع القيامة نشوراً أكمل وحياة أفضل . كل نظام سنّه ابن الناسى سيتغير ، وكل قانون نَزَغ فيه الشيطان سيلغى . لن يبقى يا مولاى غير شرعك ، ولن يدوم غير دينك

وكلّت ابن آدم إلى نفسه فجرب قواه كلها فى تدبير أمره وتسخير غيره ، فما أنتج غير الاضطراب والخراب والفوضى .

تبجح بعلمه وتشريعه وفلسفته ؛ وزعم أنه هيمن على الغريزة بقوة الخلق ، وسيطر على الطبيعة بسلطان العلم ، وتوهم أنه يستطيع بما كشف من الأسرار وذلل من القوى أن يصنع مفاتح الغيب ويقتحم أبواب القدر ؛ فلما ابتليته بتحقيق زعمه وتطبيق فهمه ، تحرك فى طبعه الطين الراسب ، وتيقظ فى نفسه الحيوان الراقد ، وتألبت الأهواء على رأيه فاضطرب وتفرق ، وتغلبت المطامع على جمعه فتنازع وتمزق !

* * *

ربّاه إنا مؤمنون ، وإنا مطمئنون ! فأدم علينا نعمة الهداية ، واكفنا شرّ هذه الغواية ، واجعلنا الأدِلاّء على طريقك ، والأمناء على حقك ، حتى تنجلى هذه الغمة عن الدنيا ، فيرجع إليك الغوى ، ويخضع لك القوى ، ويلوذ بك الضعيف !

أحمد حسن الزيات

(١) يعتقد أطفال المسيحيين أن بابا نويل يزور البيوت ليلة عيد الميلاد ومعه الأب فويتار فيوزع هو على عقلائهم اللعب والحلوى ، ويترك الأب فويتار لخبثائهم حزما من العصى الصغيرة الدقيقة

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

ديوان حافظ ابراهيم

للدكتور زكي مبارك

تمهيد — اهتمام المرابي باشا بنشر آثار الأدب الحديث — شرح ديوان حافظ والنص على «محاسن» الشارحين — درس الديوان — توجيهات أدبية — المحدث حافظ ابراهيم — ما هو السر في انتصار شوقي على حافظ؟ وما قيمة حافظ على وجه التحديد؟

تمهيد:

لما شعر «شوقي» رحمه الله بأن الشيخوخة بدأت تراوحه وتغاديه أقبل بجدّ على طبع «الشوقيات» ليأمن الخوف على شعره من الضياع قبل أن يموت.

واتفق بعد ظهور الجزء الأول والثاني من «الشوقيات» أن قضيت ساعة مع «حافظ» في منزل السعيد حسن القاياتي فاقترحت عليه أن يجمع أشعاره على نحو ما صنع شوقي، فأجاب بعبارة تنذر بالتسويف، ويرجع ذلك إلى أن «حافظ[1]» لم يكن يملك من الصبر على المراجعة بعض ما كان يملك «شوقي»، فقد كانت حياته اليومية مهدّدة بالقلق، وكان لا يجد الأنس في غير الانتقال من مكان إلى مكان، ليخرج من عزلته البيتية بمحادثة من يصادف من الرجال.

وبعد أن انتقل حافظ إلى جوار الله في صيف سنة ١٩٣٢ قام جماعة من أصدقائه وقرروا الاحتفال بذكراه، وكانت لهم يومئذ مشروعات عظيمة، منها تأليف كتاب في إظهار عبقريته يشترك فيه فحول الباحثين؛ ومنها طبع ديوانه، وإقامة قبره على قواعد عالية تذكّر الناس بمنزلته السامية؛ ومنها دعوة الأدباء في سائر الأقطار العربية للاشتراك في حفلة التأبين، إلى آخر ما يجود به الخيال في مثل تلك الحال.

وفي ذلك العهد كتبت كلمة في «البلاغ» قلت فيها إن تلك القرارات لن ينفّذ منها شيء، ورجوت أصدقاء «حافظ» أن يقفوا وقفهم على عمل واحد هو طبع الديوان، فقد كنت أعرف أن أدباءنا في أغلب أحوالهم رجال أقوال، لا أعمال، وهل صنعوا شيئاً في إنقاذ ما ترك «زكي باشا» من الآثار الأدبية، وفيها نفائس قد لا يجود بمثلها الزمان؟ وهل تظنهم يلتفتون إلى جمع ما تبدّد من آثار «محمد مسعود»؟.

لم يصنع أصدقاء حافظ شيئاً يؤكد الوفاء لذلك الروح الوهاج، ولكن الله لم يشأ أن يضيع حافظ في هذه البلاد، فكانت تلك الالتفاتة الكريمة من وزير المعارف الأسبق «علي زكي العرابي باشا»، الالتفاتة التي قضت بأن يُطبع ديوان حافظ على نفقة وزارة المعارف، وأن يكون ظهوره بداية لطائفة من المطبوعات تُحيي ما يُخاف عليه من آثار الشعر الحديث، فقد كان من العجب أن تكون مصادر الأدب في القرن الثاني أقرب إلى الأيدي من مصادر القرن الرابع عشر، وتلك ظاهرة لا نسكت عنها إلا كارهين.

وفي هذا المعنى كتبت في جريدة المصري مقالاً جاء فيه:

«إن العرابي باشا أخذ جزاءه الأوفى يوم ظهر ديوان حافظ، فقد استطاع أن يؤدي إلى اللغة العربية خدمة جليلة بإحياء شاعر كان في عصره ملء المسامع والأفواه والقلوب... وما الذي يمنع من أن يتفضل فيشير بطبع مجموعات وافية مما نظم الشعراء وكتب الكاتبون منذ فجر النهضة الحديثة إلى اليوم؟! إنه خليق بأن يجعل ديوان حافظ فاتحة لعهد جديد من المطبوعات العلمية والأدبية التي تشهد بما صنعت مصر في العهد الحديث، وهو إن حقّق هذه الرغبة فسيمكّن الأدباء في مصر وفي سائر الأقطار العربية من الوقوف على طلائع النهضة الأدبية، وهي نهضة نرجو أن تقوى وتستفحل لتُثمر الأبناء والأحفاد بأن لهم لغة قوية تُطاول اللغات الحية، وتسابقها في ميادين العلوم والآداب والفنون. فإن قال الوزير إن أمثال هذه الأعمال مما يقوم به الأفراد لا الحكومات فإنا نجيب بأن الحال في مصر تختلف عما عداها بعض الاختلاف؛ فالمصريون لا يزالون يودون أن ترفع عنهم حكومتهم كثيراً من التكاليف، ومن شواهد ذلك مطبوعات الجامعة المصرية ومطبوعات دار الكتب المصرية؛ فهذه المطبوعات يعجز عنها الأفراد، ولا تستطيع المكاتب أن تنهض بها إلا بمجهد عنيف. وما بالنا نلحّ على الوزير في تحقيق هذا الغرض؟ إنه يعرف أن دراسة الأدب الحديث مقررة في المدارس الثانوية والمعاهد العالية، ودراسة هذا الأدب ستظل ضعيفة ما دامت المصادر بعيدة عن أيدي الأساتذة

(١) أنا أبغض إعراب الأعلام

والطلاب ؛ فهو حين يحقق هذا الغرض يؤدى خدمة أساسية لا كمالية ، ويجعل أبناءه فى المدارس الثانوية والعالية قادرين على التمكن من ناصية الأدب الحديث ، وهو كذلك سيمنّ شريعة جديدة لأمثاله من وزراء المعارف فى مختلف الأقطار العربية ؛ فقد نسمع بعد قليل أن وزراء المعارف فى الشام والعراق والمغرب والحجاز قرروا نشر ما اندثر عندهم من معالم الأدب الحديث ، وعندئذ تقترب هذه الشعوب بعضها من بعض ، وتضيع مآرب الباغين الحادين من خصوم لغة القرآن »

وإنما أعدت هذه الفقرة من مقال نشرته قبل سنين لأنى أجد فيها دعوة يجب أن تجدّد فى كل يوم ، فما تزال الحكومات العربية قليلة الالتفات إلى أهمية الأدب الحديث ، وما يزال فى الدنيا أقوام يرون الأدب الجديد أقل قيمةً من الأدب القديم ، مع أن أدبنا فى أكثر نواحيه أعظم حيويةً من أدب القدماء ، وهو يصور ما نحن عليه من قوة وضعف ، وإيمان وارتياب

شرح ديوان حافظ

شرح هذا الديوان ثلاثة من أهل الأدب ، هم الأساتذة : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الإبيارى . وقد نص الأستاذ أحمد أمين فى المقدمة على أن هذا الشرح أُريدَ به نابتة الأدب وناشئة الشعر ، ولم يُرَد به الخاصة والمنتهون

ومعنى هذا الكلام أنهم قد يوضحون ما لا يحتاج إلى توضيح رعايةً لأفهام المبتدئين

وكان الأمر كما قالوا فى المواطن التى تسعفهم فيها المعجمات ، كأن يقولوا إن السدة هى الباب ، والشجون هى الأشواق

أما إذا احتاج الشرح إلى بحث فالمبتدئون فى حكم المنتهين ، ولا موجب للعناء !

ومن أمثلة ذلك :

١ — وردت فى شعر حافظ كلمة (آذار) فقال الشارحون :

« شهر من شهور السنة المسيحية معروف »

فهل فى الحق أن المبتدئين من شبان مصر يعرفون آذار ؟ كان الواجب أن ينص على أن (آذار) هو شهر (مارس)

والقول بأن آذار من شهور السنة المسيحية خطأ فى التاريخ ؛ والصواب أن يقال من شهور السنة الشمسية ، فقد عُرِفَ التقويم الشمسى قبل المسيح بأزمان طوال

ونحن اليوم نقول سنة قمرية وسنة شمسية ، أما أسلافنا من العرب فكانوا يقولون : سنة هلالية وسنة خراجية

٢ — ورد فى شعر حافظ اسم (مانى) فقال الشارحون :

« هو صاحب مذهب المانوية المشهور »

فهل يمكن القول بأن مذهب المانوية مما يعرف المبتدئون ؟

ثم أراد الشارحون أن يعينوا الوقت الذى ظهر فيه (مانى) فقالوا إنه ظهر فى أيام سابور بن أردشير

وأقول إن هذا الكلام كان ينفع من يعيشون قبل ألف سنة ؛ يوم كان العرب على بيِّنة من تواريخ الأكاسرة ، أما اليوم فهو كلام غامض الدلول

٣ — ورد اسم (روسو) فى شعر حافظ فقال الشارحون :

« روسو كاتب فرنسى معروف ، وهو صاحب كتاب الاتفاق الجمهورى »

وما أعرف شيئاً عن كتاب « الاتفاق الجمهورى » ولعلهم يريدون كتاب « العَقد الاجتماعى » إلا أن يكونوا أبصر منى بالأدب الفرنسى ، وذلك جائز !

٤ — وكلمة (معروف) كثيرة الدوران على ألسنة الشارحين : فأبو تمام شاعر عباسى معروف ، والبحترى شاعر عباسى معروف ، وجمال الدين الأفغانى فيلسوف معروف ، ومحمد باشا سعيد هو الوزير المعروف ، إلى آخر ما نثروا فى الشرح من هذا اللفظ المعروف !

٥ — والترقيم خطأ فى بعض الأحيان ، فقد جاء فى المقدمة أن حاجة الشاعر إلى الخيال الخصب أقوى من حاجة الناثر ، والعبارة صحيحة ، ولكنها خُتمت بعلامة التعجب ، ولا موجب لذلك .

٦ — وأشير فى المقدمة إلى « حادثة المؤيد » بلا نص على مكانها من صفحات الديوان ، فهل أُهملت لأنها من الحوادث المعروفة ؟

٧ — وكذلك أشيرَ إلى « وداع اللورد كرومر » ، والصواب « لورد كرومر » ، لأن « كرومر » فى هذه العبارة لا يقع موقع عطف البيان ، وإنما يقع موقع المضاف إليه من المضاف ، وهذا أمرٌ قد يخفى على المبتدئين ، كما خفى على الأستاذ أحمد أمين .

٨ — وفى المقدمة : « لئن نقص حظ حافظ فى الخيال فقد غطى عيبه شيوع الجمال فى سائر نواحيه » ؛ والصواب « لقد » وحافظ نفسه يقول :

لئن هَدَوْكم لقد كانت أوائلكم تهدى أوائلهم أزمان أزمان

وقد عثرت على شواهد وقعت فيها الفاء فى مكان اللام فى مثل هذا التعبير ، وإذن تُقبل تلك العبارة بقول مرجوح ، وإنما أدافع عن هذا الخطأ لأنه وقع فى بعض أشعارى ! !

٩ — وفى ص ١٥١ ج ١ قال حافظ فى محمد المويلحى :

فإذا نثرت على الصحيفة خلتها غرساً ألحّ عليه صوب قطار

وجاء فى الشرح أن القطار جمع قطر بفتح فسكون وهو المطر ، ثم قال الشارحون : إن الديوان المطبوع فيه « نثار » مكان « قطار »

وأقول : إن الصواب إثبات « نِثار » وتصحيح كلمة « غرساً » ، فيكون البيت :

فإذا نثرت على الصحيفة خلتها غرساً ألحّ عليه صوب نثار

والنثار هو المعروف فى مصر بالنقوط فى يوم العرس ، وذلك هو المراد .

١٠ — وفى ص ٦٦ ج ١ قال حافظ فى تحية واسف غالى :

مازلت تُلقى على أسماعهم حججاً فى كل ناد وتأتيهم بسلطان
حتى انثنيت وما للسُّرب مجترئ على البناء ولا زار على البانى

والصواب وضع كلمة « الغَرب » مكان « السُّرب »

١١ — وفى الصفحة عينها أن رينان هو الفيلسوف الفرنسى المعروف الذى ردّ عليه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فيما رمى به الإسلام والمسلمين من تهم ، وما نعرف أن الشيخ محمد عبده كانت له مواقف مع رينان ، وإنما كانت له مواقف مع هانوتو ، أما الذى ردّ هجوم رينان على المدنية الإسلامية فهو جمال الدين الأفغانى

١٢ — وفى ص ٦٠ ج ١ قال حافظ :

فانبرتْ ظبية الشآم وقالت بعض هذا فقد رفعت الشآما

وجاء فى الشرح : أى قولى بعض هذا ، إذ لا نستحق كله .

والصواب أن يقال فى الشرح : إطوى بعض هذا ، فما نستحق كل هذا الثناء

١٣ — والاضطراب فى رسم الأعلام الأعجمية يقع أحياناً فى هذا الشرح ، فهو جُو الشاعر الفرنسى تراه مرة هيجو ومرة هوغو ومرة هوجو ؛ وهنا نذكر أن الأعلام الأوربية نُشرتْ جميعاً بحروف عربية ، وكان يجب أن ترسم أيضاً بالحروف اللاتينية ليُعرف نطقها بالضبط ، فإن تعذّر هذا على الأستاذين أحمد الزين وابراهيم الإبيارى ، فقد كان يسيراً على الأستاذ أحمد أمين

١٤ — والأخبار الأدبية المتصلة بقصائد حافظ لم تأخذ حقها من البيان ، وستصير هذه الأخبار من المنسيات بعد حين ، فكان من الواجب أن تسجل قبل أن تضيع ، فإن لها أهمية فى توضيح مرامى ذلك الشاعر المرّ بعض

١٥ — وسكت الشارحون عمن سبقهم إلى شرح « القصيدة العمرية » ، وقد شُرحتْ مرتين : شرحها المرحوم محمد بك الخضرى ، وشرحها المرحوم مصطفى بك الصياطى ، والنص على مثل هذا واجب فى الطبعات العلمية . وكان يجب أيضاً أن يُنص على تأثير هذه القصيدة فى الشعر الحديث ، فعلى غرارها صاغ الشيخ محمد عبد المطلب « القصيدة العلوية » ، وصاغ الشاعر عبد الحليم المصرى قصيدته فى الجد الأكبر للملك فؤاد ، وكان لتلك القصائد رنين فى المحافل الأدبية ، وقد تكون مصدر الوحى للشاعر أحمد محرم فى « الإلياذة الإسلامية »

ورسى الريواد

الفقر السابقة هو الجزء الأول ، ولكن النظر فى الجزء الثانى ينفع ، لأنه يكمل صورة حافظ الشعرية

وفى الجزء الأول مقدمة كتبها الأستاذ أحمد بك أمين ، وهى مقدمة وافية ، وصراحتها بداية تبين الطلبة على اجتياز الامتحان

وتقدم التوجيهات الآتية :

أولاً — جاء فى الجزء الأول أشعار تصور أشجان حافظ حين كان فى السودان ، فيجب الرجوع إلى ما يتصل بهذه الناحية فى الجزء الثانى

ومع هذا لا يستطيع الطلبة تصور محنة حافظ بأيامه فى السودان إلا إن نظروا فى كتاب «ليالى سطيح» ؛ والرجوع إلى هذا الكتاب مفيد جداً ؛ ففيه صفحات هى أقوى وأجل من كل ما هتف به حافظ فى دنياه ؛ وقد تكون أعظم ما أثر من الثورة على الاستبداد

وكان حافظ يحفظ «ليالى سطيح» عن ظهر قلب ، كما يحفظ قصائده الجياد ، ومن لم ير حافظ فى « ليالى سطيح » فهو من أدبه من الغافلين

ثانياً — حافظ كثير الكلام عما عرف من الرجال ، فديوانه ليس إلا صوراً جميلة أو ذميمة لخلائق من اتصل بهم من قرب أو من بُعد ، ولهذا تقل فى شعره التأملات النفسية ، لأنه داعماً موصول بالمجتمع

ثالثاً — حافظ كثير التعريض فى مدائحه وأهاجيه ، وهو تعريض لم يظفر بما يستحق من الشرح ، فإن استطاع الطلبة أن يواجهوا لجنة الامتحان بأشياء سكت عنها الشارحون فقد يظفرون بطيف من الثناء !

رابعاً — قد أُرِّخت أكثر قصائد حافظ ، وبقى فريق منها بدون تأريخ ، فعلى الطلبة أن يبحثوا عن المناسبات ، وإليهم هذا الشاهد :

فى ص ٢٠١ ج ١ قال حافظ أبياتاً فى توديع شوقى يوم سافر إلى مؤتمر المستشرقين ، وننظر فى الشرح فنجد إحالة على الحاشية رقم ٥ ص ٥٠ . فإذا رجعنا إلى تلك الحاشية لم نجد كلاماً عن المؤتمر ولا عن مكانه فى التاريخ ، فماذا نصنع ؟

نرجع إلى الجزء الأول من الشوقيات ، وهو أيضاً مقرر لمسابقة الأدب العربى ، فنجد أن ذلك المؤتمر عُقِد فى جنيف (سبتمبر سنة ١٨٩٤)

خامساً — قد يُظن أن الشارحين دونوا جميع قصائد حافظ ، وليس الأمر كذلك ، فلحافظ قصائد لم تضف إلى هذا الديوان وسندل الشارحين على تلك القصائد عند الطبعة الثانية

سادساً — قال الأستاذ أحمد أمين إن الحزن الذى غلب على طبيعة حافظ هو الذى قضى بأن تكون أكثر قصائده فى المراثى . ونقول إن الرثاء كان يُفرض على حافظ فى كثير من الأحايين ، ومن هنا تقل اللوعة فى أكثر مراثيه ، فيستر الموقف باجترار حوادث التاريخ

سابعاً — قيل وقيل إن حافظ لم يكن من أهل الصدق فى التغزل والتشبيب ، فما سبب ذلك ؟

يرجع السبب إلى أن ضجيج المجتمع شغل حافظ عن سحر الجمال ، وقد يرجع إلى ضعف فى حاسته الذوقية من هذه الناحية ، فالإحساس بالجمال يتفاوت عند الشعراء ، كما تتفاوت الحواس عند سائر الناس

وربما جاز القول بأن حافظ كان فى سريرة نفسه من عبيد المجتمع ، فهو يغنى على ليلى المجتمع قبل أن يغنى على ليلاه ، والمجتمع كان ينتظر منه البكاء على المصائب اليومية ، قبل أن ينتظر منه التغريد فوق أفنان الجمال

ثامناً — تشهد أشعار حافظ بأنه كان ابن زمانه وابن وطنه ، فلم تكن له نزعة فلسفية ولا وثبة إنسانية إلا فى أندر الأحيان ، وأشعاره فى مآسي بعض الأمم الشرقية أو الغربية لم تكن إلا صدى للعواطف المصرية فى ذلك الحين ، وهى فى الأغلب عواطف تخلقها الجرائد والمجلات

المحرم حافظ ابراهيم

نقول فى شعر حافظ وفى نثره ما نشاء ، ونتجنى عليه كما تريد ؛ أما حافظ المحدَّث فهو أديب لم تر مثله أندية الأدب منذ أجيال طوال

وما ظنكم برجل كان الزعيم سعد زغلول يتشهَّى حديثه كما يتشهى عودة الشباب ؟

لا أذكر أنى رأيت رجلاً فى مثل ظرف حافظ ، ولا أكاد أصدق أن الدنيا ستسمح بأن يكون له ضريب أو مثيل

سألت أستاذى الشيخ (رنيه دوميك) عن أهم خصائص أناطول فرانس فأجاب :

Le meilleur causeur, la plume à la main

ولو أن شاعرنا حافظ كان يكتب كما كان يتكلم لكان سحره فى اللغة العربية شبيهاً بسحر أناطول فرانس فى اللغة الفرنسية

وبراعة حافظ فى الحديث هى التى قضت بأن ينتصر عليه غريمه شوقى ... كان حافظ يتحدث ويتحدث إلى أن تنفد قواه فلا تبقى له قدرة على الثناء ؛ وكان شوقى يصمت ويصمت ليستجمع فتبقى له القدرة على السجع والمُحسّنات . والقُوى الإنسانية لها حدود ، وإلا فكيف جاز أن يكون المدرسون أعجز الناس عن الشعر والخطابة والتأليف ؟

ألا يرجع ذلك إلى أنهم يضيعون نشاطهم فى الدرس ، فلا تبقى لهم عافية يصاورون بها تلك المواهب الأدبية ؟

أراد حافظ أن يُمتع أهل زمانه فأشاعوه . كان زينة الأنديـة والمحافل ، وكان حديثه أشهى من وعد الحبيب بعد طول الجفاء ، وأطيب من اندحار الرقيب ، وأشهى إلى النفس من الانتصار على السفهاء ، إن كان الانتصار على السفهاء من الممكنات !

عليك — يا حافظ — تحية الشعر والنثر والحديث

وإلى روحك فى عالم الخلود ، تقدم آيات الثناء ، يا حجتنا الباقية على أن مصر مهد الروح المتوهج والقلب الخفاق

زكى مبارك

حكم فى القضية ٦٣ سنة ٩٤١ عسكرية بى سويف بتغريم محمد على طايع من نزلة حرزه مركز ببا خمسة جنيهات لأنه باع أذرة بأزيد من التسعيرة

بحث مقارن

الوضع الاجتماعي للمرأة في الإسلام

الأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر

مقدمة

لم يتسع نطاق الحديث عن المرأة في عصر من العصور بقدر اتساعه في العصر الحاضر الذي يمكن أن يسمى بحق « عصر المرأة » . ففي كل زاوية من زوايا المعمورة نشمُّ رائحة المرأة : شخصاً ، أو موضوعاً ، أو عاطفة ، أو هدفاً . وبالجملة هي تشغل حيزاً كبيراً من تفكير الرجال وضمير المجتمع . وإذا كان كل شيء في ذاته قابلاً للمدح والذم فإن المرأة قد تفرّدت بالحصول على نهايتيهما !

ولا عجب أن تحتل المرأة هذه المكانة المريضة ، فإنها لم تعد محلاً لقضاء شهوة ، أو سلعة تباع وتشترى ، أو خادمة ذليلة ، أو مواطناً لا حقوق له ، أو حتى تمثالاً جميلاً يركع الرجل تحت قدميه ؛ وإنما أصبحت الممثل اللاعب في حياة الرجال من وراء ستار ، و « القالب » الفذ العميق الذي تتشكل فيه شخصية المجتمع ، ويحمل أفراده ملامحه ، وينطبع فيهم كل ما به من خير أو شر . ثم هي قبل كل شيء ما زالت — كما كانت منذ فجر البشرية — حجر الزاوية في الأسرة الإنسانية

ومن البدهي أن يعنى المفكر العصري بالكلام عن المرأة بعد إذ ظفرت بحقوق كثيرة ، ووثبت هذه الوثبة الاجتماعية الكبيرة ، وليبحث فيما إذا كانت قد جاوزت بذلك حدود طبيعتها ، واعتدت على حقوق الرجل ، وجنت في النهاية على نفسها وعلى غيرها أم لا ؟ وأي الشرائع أهدى لها وأكثر اعتناء بها ؟

ثم هل الشريعة الإسلامية قد حررتها وأعزتها وصانتها أم قضت بعبوديتها وأذلتها وابتذلتها !

المرأة في غير الشريعة الإسلامية

يروي لنا علماء الاجتماع أن الرجل ، عند بدء الخليقة ، كان يعيش عيشة الحيوان ، يطوف في الأرض ، ولا يعرف الأسرة بالمعنى الذي نفهمه . ويعتقدون أنه لم تكن له يومئذ أوضاع مرعية في اتصاله بالمرأة ، وكان كل اتصاله بها منصباً على أن يقضي شهوته البهيمية منها ثم ينصرف عنها لا يلوي على شيء ، وتظل هي وحدها حتى تضع حملها ، وتسعى لتقوت بنيها الذين لا يعرفون لهم أباً ، ولا يستشعرون الأبوة ، ولكنهم ينسبون إليها . ومن ثم كانت — المرأة — تبني الأسرة بمفردها . ولم تكن لها في تلك المرحلة قِبلَ الرجل أو القبيل الذي تنتمي إليه أي نوع من أنواع الحقوق ، بل كانت حياتها كلها واجبات !

وبعد ذلك استقر الرجل بعض الاستقرار ، وبدأت « زعامة الأب Patriarchy » بعد « زعامة الأم Matriarchy » . وفي هذا الدور احتكر الرجل المرأة التي جعلها من عبيده وسراريه . وإذا كانت المرأة آنئذ قد تخففت من بعض العبء الذي كان ملقى على كاهلها إلا أنها لم تكن أكثر من ظل للرجل .

فهؤلاء هم الأثينيون — أكثر الأمم القديمة حضارة — عاملوا المرأة معاملة سقط المتاع ، تباع وتشترى في الأسواق ، بل سموها رجساً من عمل الشيطان ، وحرّموا عليها كل شيء سوى تدبير البيت وتربية الأطفال ، وأباحوا للرجل التزوج بأي عدد من النساء . أما في إسبرطة، مع أن الرجل كان ممنوعاً من أن يتزوج بأكثر من واحدة إلا في أحوال قاهرة ، فقد أبيح للمرأة أن تتزوج بأي عدد تشاء من الرجال !

وكانت المرأة عند اليهود تكره على الزواج والبناء ، وتورث ولا ترث ، وكان محجوراً عليها التصرف في مالها الخاص .

وكانت بعض الشرائع تبيح للأب بيع ابنته . ولم تكن المرأة في القانون الروماني شيئاً يذكر ، فهي قبل زواجها تحت سلطة أبيها ، فإذا تزوجت دخلت في سلطة زوجها .

وكان العرب في الجاهلية يئدون بناتهم ، وكان فيهم من يرى أنه لا قصاص ولا دية في قتل المرأة !

وقد قرر أحد المجامع العلمية (كذا !) في روما أن المرأة حيوان نجس لا روح له ولا خلود ، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة ، وأن يكم فمها كالكلب المسعور لمنعها من الضحك والكلام ! !

وفي سنة ٥٨٦ ميلادية عقدت بعض الولايات الفرنسية اجتماعاً عاماً ، شهده الآلاف من الرجال الذين ظلوا ساعات طوالا

يبحثون فيما إذا كانت المرأة إنساناً أو غير إنسان ؟ ! وبعد مناقشات جدّية عنيفة أصدر المجتمعون بأغلبية الأصوات قراراً يمنح المرأة درجة « الإنسانية » ، ولكنه يقضى فيما عدا هذا بأنها (لم تخلق إلا لخدمة الرجل) ! !

ويذكر التاريخ أن أهم إنصاف نالته المرأة قبل ظهور الإسلام بنحو ربع قرن ما منحه إياها القانون الرومانى ، فإن هذا القانون قد ترك للعذراء والأرملة كل حريتهما ما دامتا بالغتين سن الرشد . أما المتزوجة فقد وضعها تحت سلطة زوجها المطلقة ؛ فهى ، بحسب هذا القانون أشبه ما تكون بالمحجور عليه أو القاصر من الناحية القانونية ، وزوجها السلطة الواسعة فى مراقبة شئونها الشخصية ، وهو حر التصرف فى ملكها ومالها من دونها ، وله أن يمنعها من الاجتماع بأى شخص لا يريد اجتماعها به ، وأن يفض رسائلها الصادرة منها أو الواردة إليها !

« كما[1] أنه من جهة أخرى كانت الكنيسة فى القرون الوسطى تعلم الأولاد أن الوحشية صفة التنين ، وأن المكر صفة الأفعى ، وأن المرأة قد جمعت بين الرذيلتين . وكان رينان الفيلسوف الفرنسى العظيم (١٨٣٣ — ١٨٩٢) يلاحظ أن الكنيسة رفعت المرأة إلى درجة جلب الخطيئة ! ونرى مارتن لوثير المصلح الدينى الألمانى الكبير ، ومؤسس المذهب البروتستنتى فى النصرانية (١٤٨٣ — ١٥٤٦) قد كان نصيراً لمذهب القائلين بحرمان المرأة من الثقافة . ونرى أيضاً الملك هنرى الثامن يصدر أمراً بتحريم مطالعة الكتاب المقدس على النساء وآخرين من طبقة منحطة ! وقد كان النساء طبقاً للقانون الإنجليزى العام (حوالى سنة ١٨٥٠) غير معدودات من (المواطنين) ؛ وكان لذلك مباحاً لبعولتهن أن يضربوهن بعصا لا يزيد حجمها على رأس الإبهام . كذلك لم يكن لهن حقوق شخصية ، ولا حق ملكية فى ملابسهن ولا فى الأموال التى يكسبنها بعرق الجبين » ! !

وقد حدث ، فى عهد قريب ، أن باع رجل انجليزى زوجته لشخص كان يمازلها بخصومة جنيه بسبب فقره وعدم توافق طباعهما . ولما قدم الزوج للمحاكمة قال محاميه للقاضى أن لا وجه لإقامة الدعوى لأن القانون الإنجليزى كان يبيح بيع الزوجات ، بل لقد بلغ « سعر » الزوجة فى سنة ١٨٠١ ستة بنسات (أى نحو ٢٤ مليما) ! ! ولكن القاضى لم يأخذ بدفاع المحامى البق ، وقضى بالحكم على الزوج بخمس سنوات ، ذاكراً فى أسباب حكمه أن القانون الذى يشير إليه المحامى ويستند عليه قد ألغى فى عام ١٨٠٥ (أى بعد نزول القرآن ، وإعلان حرية المرأة المسلمة بنحو اثنى عشر قرناً ! !)

واليهود هم أول أمة سمحت أن يكون الزواج مبنياً على مجرد الاختيار الشخصى ، وتقدمت عندهم حقوق المرأة بخطى كبيرة . وقد جاءت المسيحية من بعدهم فضاعفت هذه الحقوق ، وحرّمت تطليق المرأة إطلاقاً ، ثم أباحته بشروط مخالفة بذلك شرعتها ، بعد أن تبين لها أنه ضرورى للرجل والمرأة معاً ، وأعلنت استقلال المرأة بملكيتها كالإسلام ! أما تعدد الزوجات فلم تسمح به

والشائع فى أوربا اليوم هو الزواج المدنى ، والتحرر السريع من القيود الدينية المسيحية فيما يختص بالمرأة وعلاقتها بالرجل . فالطلاق مباح ، والزواج العرفى معترف به وبآثاره ، وبما يترتب على عشرة السوء ! وبالجملة قد تخلصت المرأة مما تقيدها به ديانتها ، وساعدها الرجل على ذلك ، وحصلت على حرية واسعة بلغت حد الإباحة ، وعلى احترام كبير وصل إلى درجة التقديس ، لا لأنها مخلوق ضعيف يستحق الرعاية والتنعم والصيانة ، بل لأنها مخلوق لطيف ، مؤنس ، رشيق ، يفوح منه عبير المطور ، وينشر فى مجالسه السحر المذاب الحلو ، وأشياء أخرى تدلُّ عليها الآثام العميقة التى كانت تسبح فيها أوربا قبل هذه الحرب ، والفضائح التى كانت تزكم الأنوف !

المرأة فى الشريعة الإسلامية

ظل الناس فى بداوة الجاهلية الأولى ضاربين ، وفى غمرة الشهوات الهمجية غارقين ، وظلت المرأة تعانى مرارة الذل وقسوة الحيف والاستعباد حتى جاء (منقذ المرأة ومحررها) ، محمد النبى العربى بكتاب سماوى يقول : « ولهن مثلُ الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » ؛ فكانت هذه الآية الكريمة الوثيقة القانونية الأولى التى تعترف بإنسانية المرأة ، وحريتها ، وحقها فى الحياة ، ومساواتها للرجل مساواة نبيلة أبيّة لا فضل فيها لمخلوق . ولقد فصّل الإسلام حقوق المرأة تفصيلاً دقيقاً بديعاً ، وتغلغل فى صميم حياتها حتى أنه عالج أصغر هواجسها ، وأتفه شؤونها ، وتناول أدق وأحرج أسرارها . فهو قد شمل حقوق المرأة بوصفها بنتاً وزوجاً وأماً وأختاً ، وكذلك بوصفها عضواً فى المجتمع الإنسانى ؛ وفيما يلى موجز ذلك :

(١) أنظر كتاب « المرأة الحديثة وكيف نسوسها » تعريب الأستاذ عبد الله حسين المحامى — ص ١٩

٢ — أوجب الإسلام للبنت النفقة شرعاً فى حياة أبيها حتى تتزوج ، وليس له أن يلزمها طلب الرزق كالابن . وإذا ما تزوجت ثم طلقت فعادت إلى بيت أبيها عادت نفقتها عليه بعد انتهاء مدة نفقتها الزوجية . وقد قررت الشريعة ذلك حماية للبنت من السقوط فى حمأة الرذيلة إذا أمسك منها أبوها أو ألزمها طلب الرزق

٣ — جعل الإسلام رضا البنت عند بلوغها سن الرشد شرطاً لصحة العقد عليها . وليس لمخلوق كائن من كان أن يكرهها على الزواج بمن لا تريد . ولنا فى رسول الله أسوة حسنة ؛ فقد كان إذا أراد أن يزوّج امرأة يأتيها من وراء حجاب فيقول لها : « يا بنيّة ، إن فلاناً خطبك فإن كرهته فقولى (لا) فإنه لا يستحى أحد أن يقول (لا) ، وإن أحببت فإن سكوتك إقرار » . وهذا الحق الطبيعى الرائع الذى مُنحته المرأة المسلمة فى القرن السابع للميلاد حُرمته المرأة الأوربية حتى القرن السادس عشر !

٤ — وقد أراد الرسول (ص) أن يدفع الناس إلى الاعتناء ببناتهم بعد أن حرّم الله وأدهن ، وأعطاهن حق الحياة المقرر للرجل فقال : من كانت له بنت جعلها الله له ستراً من النار ، ومن كانت عنده ابنتان أدخله الله الجنة بهما .

٥ — وكان بعض الرجال يسيئون معاملة زوجاتهم ، ويمتنع الزوج الكاره زوجته عن تطليقها حتى تفتدى نفسها بمهرها ، فنزلت الآية الكريمة (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) ؛ وقوله : (هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن) ؛ وقوله : (هو الذى خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ؛ وجاء فى أخبار الرسول أنه قال : (ألا إن لكم على نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حق . أما حقكم على نسائكم فأن لا يوطئن فراشكم من تكرهون ، ولا يأذنّ فى بيوتكم لمن تكرهون ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع) ؛ وقال : (حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم ، ويكسوها إذا اكتسى ، ولا يضرب الوجه ، ولا يقبّح ، ولا يهجر إلا فى البيت) ؛ وقال : (عليكم باللطف والرفق بنسائكم : لا تظلموهن ، ولا تضيقوا عليهن ، فإن الله تعالى ينضب للمرأة إذا ظُلمت كما ينضب للهتيم) . وفى ذلك كله تبين روح الآداب الزوجية التى ينبّها الإسلام فى تعاليمه ، وينزلها الله تعالى على لسان نبيه الكريم ، وفى تصرفاته ، وقدوته لعشيرته ، وبنى قومه الذين حكموا الدنيا ودوخوا العالمين عند ما كان الرجال يتقون الله فى نسائهم ، وكانت الأسرة الإسلامية منبع سرور وشهامة

وإن من آداب الإسلام العائلية لما يذهب إلى أبعد من هذه الحدود ، فقد روى أنه جاءت إلى عمر بن الخطاب امرأة قالت : إن زوجى يقوم الليل ويصوم النهار . فقال لها عمر : لقد أحسنت الثناء على زوجك ! فقال كعب بن سوار الجالس بجواره : بل لقد شكته ! تزعم أن ليس لها من وقت زوجها نصيب . قال عمر : فإذ قد فهمت ذلك فاقض بينهما — فقضى . ولو تدبرنا هذه القصة الإسلامية العابرة لوجدناها ترمز إلى إشكال عريق فى حياة المرأة ومصدر سوء تفاهم مزمن فى حياة كثير من الأسر !

وإذا كان المصلحون الاجتماعيون فى أوربا وأمريكا لم يهتدوا إلى الطريق الأمثل لفض المنازعات الزوجية إلا فى القرن الحالى ، فقد أشار الإسلام إلى ذلك فى القرن السابع . فقد قال سيدنا عمر بن الخطاب مخاطباً الأزواج : « إذا لم يفد المرأة الوعظ والهجر والضرب (ولن يضرب خياركم — وفى هذا معنى الحظر لشىء أباحه الله لضرورة قاسية وبشروط حتى لا يساء استعماله) عمد الرجل إلى التحكيم ، وهو أن يؤلف « مجلساً » من أهله وأهلها فيعرض كل من الزوجين ما يشكوه من الآخر ، فإن تمرد المحكوم عليه منهما فرقوا بينهما بالطلاق وهو آخر أنواع التأديب »

(البقية فى العدد القادم) محمد عبد الرحيم عنبر

اعجز نسخك من الآن فى كتاب :

مراجع فى أصول اللغة والأدب

تأليف الأستاذ العرضى الوكيل

يظهر فى آخر يناير سنة ١٩٤٢

وهو يشتمل على مقرر مادة المراجع فى امتحان الترقية إلى التعليم الثانوى (لغة عربية) هذا العام مع مقدمات ولواحق فى النصوص والأدب المقررين فى الامتحان المذكور

الاشتراك قبل الطبع ١٥ قرشا ، عدد النسخ ٢٥٠

يرسل إلى المؤلف بمدرسة شبين الكوم الابتدائية الأميرية

حكم فى القضية ٦٦٥ سنة ١٩٤١ عسكرية بنى سويف بتغريم سيد عبد المطلب سالم من الزرابى ثلاثة قرش صاغ لأنه باع أذرة بأزيد من التسعيرة

بين موسيه وخالد الكاتب

للأستاذ صلاح الدين المنجد

أذكر أني قرأت منذ شهور بعيد مقالاً ذكر فيه صاحبه أن الشاعر الفرنسي « موسّيه » كان يُشابه خالداً الكاتب في بكائه وألمه وهواه ، وأن من الحق أن يسمّى خالد « موسّيه الشرق » !

وقول كهذا القول يطوي في ثناياه من التسرّع في الحكم والجهل في القايسة النصيب الكبير ؛ فليس من الصحيح إقامة الموازنات بصلة هزيلة أو نسبة ضعيفة ، وليس من العلم إطلاق الألقاب بدون حذر أو أناة

لقد أحبّ « موسّيه » وأحبّ « خالد » ، وبكى موسّيه وبكى خالد ؛ فكانا في الحب مختلفين ، وفي البكاء متباينين . أما الأول فقد بكى وتألم حتى سمّي شاعر الألم . وكان الدافع إلى ذلك حبٌّ مفجّع وقلبٌ محطّم . وكان شابًّا ناعماً يفوق إخوانه بالرشاقة والأناقة والنبوغ . فلما أحبّ « جورج صاند » غرّد بحبها في أشعاره وملأ به أناشيده وأغانيه . ثم حملها إلى إيطالية بلد الجمال والفن ليقضيا حياة حلوة كالعسل ، رقّاقة كالنسيم ، ويتمتعا بالجمال البارع والحب الوليد . على أنها تركته بعد قليل وتبعت « باجيلّو » الطبيب الإيطالي . وكأنها كانت كالفراشة النشوى يروقها رشف الرحيق من كل زهرة ! فثار موسيه لما رأى إعراضها وهمّ أن يقتل الحبيبة والطبيب معاً ، ولكنه فضل البكاء على الجريمة ، ورحل عن « فينيسيا » باليأس والخيبة ؛ فهام في رباع أوربة ثم عاد إلى فرانسة وأخرج للناس آيات رائعات ، غنى فيها بأشعار رقاق من السهل الممتنع ، آلامه المبرحات وحبه الجريح ، ويأسه الداجي ، وإخفاقه المر . والحق أن موسيه كان بارعاً في تصوير ذلك ، لأنه كان صادقاً ، والصدق يؤثر في القلب الشاعر ويطربه ؛ ولأن آلامه ويأسه وإخفاقه عواطف ، تجدها قد لامست كل قلب ، وأقرحت كل كبد ، ولذلك يشعر المرء أن في أشعار موسيه ترجماناً لما يختلج في حنايا ضلوعه . ولقد كان شاعرنا إذا وصف ألمه وذكر الرابع التي رآها والأحوال التي صادفها واليأس الذي لفّهه برع وأجاد . ولقد سما في وصفه لحبيبته (في ليلة تشرين) ففي هذه القصيدة تجد صورة أخّاذة للحبيبة النهوانة ذات العينين السوداوين . العطشى للحب ، الظامئ القبل ، التي لا تفي لحبيب ولا تقنع بحبيب . ولعل هذا آت عن فرة حسها وفرط شاعريتها وسعيها وراء لذّتها التي خلفت لها وأعوت الناس بها

على أن موسيه قد اتخذ من بكائه وألمه وسيلة للتعليم كما أرى ، فجاء طرف من شعره تعليمياً Didactique أبان فيه عن ضرورة الألم وأثره في النفس ، ومحاسنه التي لا تنفد ومزاياه التي تهذب الروح وترهف الحس . يقول : « إن الرجل صانع والألم معلمه . والمرء لا يعرف نفسه إلا إذا تألم ؛ ولا شيء كالألم يجعلنا عظماء ذوي شأن » . ثم يدعو إلى الألم ويبرع في الدعاوة له وتزيينه للناس . ويقولون إن أهل عصره كانوا يسيغون أشباه هذه الأقوال ، ويعجبون بمن يذرف الدمع ويصعد الحسرات ، وينظرون إلى الذين يقاسون آلام الحب وأسقام القلب نظرة إعجاب ؛ بل كانوا يشتهون ذلك . فمن عانى التهيام والتحنان والسهر ؛ والبكاء وما يدعو إليه الهوى فقد امتاز عن غيره بكثير

ولقد كان فلاسفة يونان الأقدمين ينصحون المرء إذا سألهم النصح « أن اعرف نفسك بنفسك » وكانوا يحسبون أن السعادة الكبرى في هذه الحروف الثلاثة . ثم تساءلوا : كيف يعرف المرء نفسه ؟ فركب كل منهم رأياً ؛ أما موسيه فقال « ينبغي لك أن تتألم كي تدرك ما تريد ، لأن المرء يعرف نفسه إذا تألم » وهو في كلامه هذا ينطق عن تجربة ، ويعتقد أنه عرف نفسه وعبقريتها ، لما أدمى الحب قلبه فتألم . وعندئذ علا صوت قلبه الشجي . وصوت القلب كما يقول يصل وحده إلى القلب ، فهو يود أن يدع قلبه يتكلم داعماً في كل حال . لأن على الشاعر أن يصغي إلى قلبه ويدع عقله ، وأن يبتغي رضا القلب قبل مرضات الناس . والحب إذا فجر الألم من القلب جعله غلاباً للمصاعب ، عزاماً في المصائب ، لأن الألم رمز القوة وهو سبيل الخلود . والخير الفرد الذي بقي لنا

في الدنيا هو تذرافنا الدمع في بعض الأحايين

أفيكون حال خالد كحال موسيه ؟

لا جرم أن ما نعلمه من حياة موسيه أوفر مما نعلمه عن حياة خالد . لا شك أن كلا أحب وكلا بكى ، ولكن شتان ما بين البكائين . ولقد ذكروا أن خالداً كان كاتباً في الجيش ، وأنه كان يهوى جارية لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها ، وأن محمد بن عبد الملك ولاه الإعطاء في الثغور ، فخرج إليها ، فسمع في طريقه منشداً ينشد ومغنية تغني :

من كان ذا شجن بالشأم يطلبه

فلن سوى الشأم أمسى الأهل والشجن

فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه ؛ ثم أفاق مختلطاً واتصل ووسوس . أفيكون سبب بكائه وتحييه هواه لهذه الجارية أم هناك سبب آخر ؟ يقول صاحب الأغاني إن خالداً كان مغرماً بالمرد ينفق عليهم كل ما يفيد ، وأنه هوى غلاماً يقال له عبد الله كان أبو تمام يهواه ، فتهاجيا بسببه وأنه وسوس على أثر ذلك

وهنا نتساءل : « هل اتخذ خالد من بكائه وألمه ما اتخذه موسيه ؟ »

لا جرم أن خالداً لم يذهب مذهب موسيه في بكائه وألمه ، ولم يغطن للألم وأثره في النفس ، ولم يبرع في تصوير الألم براعة موسيه ، ولم تكن في شعره تلك الصفة الإنسانية التي تجدها عند موسيه . فقد تجد بعض التكلف في العواطف والتلون في المعاني لديه ؛ على أنه تفنن في وصف الدمع ، وشعره فيه يذهب ويرق . ولا شك أنه الشاعر الفرد الذي بلغ في وصف الدمع ما لم يبلغه أحد من شعرائنا ، وهذا ما يمتاز به من موسيه

ويحدثنا خالد في ديوانه أنه أصبح رفيقاً هائماً بمن صارمه واحتجب عنه ، فبكى ؛ وجعل الدمع مداداً يكتب به على خده ما في فؤاده !

ثم طلب من الحبيب أن يفهم معاني دمعه . فلما أعرض عنه هواه وفقد الراحة ، لج في تذراف الدمع حتى تقرحت عيناه وظلمتا للعذر منه ، فلم يعذرهما لأن قلبه لا يعذره ولا يشفق عليه

ولقد كان إذا مرض فعلّه عائدوه ونأى عنه طبيبه ، دعا الدموع فهي مطيعة له ، تسرع إليه وتجيبه . وهو ينصح لمن كان هذا شأنه أن يفعل ما فعله . وإذا أنكر الحبيب حبه ودنفه فهو يتخذ الدمع شفيعاً شهيداً . وما زال يبكي حتى كاد يشيب خده :

ولو أن خداً كان من فيض عبرة

يُرى معشباً لاخضر خدّي فأعشبا

كأن ربيع الزهر بين مدامعي ... بما اخضل فيه من ضنى وتصببا

على أنني لم أبك إلا مودعاً ... بقية نفس ودّعتني لتذهبا

وما زال هكذا حتى تخاصمت عينه وقلبه :

القلبُ يحسد عيني لذة النظر ... والعينُ تحسد قلبي لذة الفكر

يقول قلبي لعيني كلما نظرتْ : ... كم تنظرين ؟ رماك الله بالسهر

للعين تورثه هماً فتشغله ... والقلب بالدمع ينهاها عن النظر

هذان خصمان لا أرضى بحكمهما ... فاحكم فديتك بين العين والبصر

فإذا نفد دمعه نادى :

نفدتْ عبرتي فهل ... عبرةٌ أستعيرها ؟

* * *

فأنت ترى من هذه اللمحة الموجزة أن الشاعرين مختلفان في حبهما وألمهما وبكائهما ، وأن لكل مزايا . ولعلّي أعود إلى خالد فأوسع الكلام عنه

(دمشق) صبوح الديري الحمد

إدارة البلديات — مياه

تقبل العطاءات بإدارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر ١٣ يناير سنة ١٩٤٢ عن توريد عدادات وأدوات مياه لمجلس تلا المحلي وتطلب الشروط من الإدارة نظير ٢٠٠ مليم

٨٨٧٣

حكم في القضية ٥٧٨ سنة ١٩٤١ عسكرية على سويف بتغريم جبر عوض محمد جزار من منشاة الحاج ثلاثة قرش لأنه باع لحما بثمن أزيد من التسعيرة

التفسير الكيميائى
لأعمال العقل والحياة

للأستاذ حسين الظريفى

إن الحقائق العلمية التى أسفرت عنها بحوث الكيمياء الحيوية قد دلت على ارتباط مظاهر العقل والحياة بما يحمله الدم من مواد

قال أحد علماء علم الأحياء : « كنت أرتاب قبلاً فى أن البحوث الكيميائية الحيوية والكيميائية النفسية تستطيع أن تسفر عن رأى من الآراء فى ظاهرة ليست من ظاهرات الطبيعة والكيمياء ، إلا أننى الآن أرى غير ذلك . ولأضرب على ذلك مثلاً قريباً بما قد يستطيعه بعض العلماء فى المستقبل من القطع بأن نقصاً فى إحدى مركبات الفسفور ، وزيادة فى فعل الثأكسد فى ناحية معينة من قشرة الدماغ ، يصحبان دائماً العبقرية فى الشعر

ولنستدل على حقيقة عنوان المقال ببعض آثار ما تفعله الغدد الصماء ؛ فقد ظهر أن هرمون البرولاكتين ، وهو مما تصنعه وتدفعه الغدة النخامية فى فصها الأمامى ، ذو أثر خاص عند الإناث ، يدل على أن حب الأمومة قائم على أصل فزيولوجى ممثل بشكل مادة كيميائية قد تكون مؤلفة من جزيئات زلالية كبيرة

وعند ما يبلغ أحدنا دور المراهقة ، تبدأ الغدد التناسلية بإفراز هرموناتها الخاصة ، تلك التى تبدو على أثرها أعراض الصفات الجنسية الثانوية ، مثل ظهور الشعر فى الوجه وتضخم الصوت عند الذكور ، ونمو الحوض والصدر وترسب الشحم تحت الجلد عند الإناث . فإذا كان فى الغرائز الجنسية ما يبعثها على التهيج والنشاط ، فإن الطبيعة تسلك فى تهدئة هذه الغرائز طريقاً كيميائياً يحدثه لها هرمون البرولاكتين . فقد ظهر أن من مزاياه عرقلة فعالية الغدد التناسلية عند ما تكون بها حاجة إلى التهدئة

على أن هذه الكتلة النسيجية الحمراء المستكنة فى منخفض عند قاعدة الجمجمة التى لا يزيد وزنها عن نصف غرام ولا يربو حجمها على حجم حمصة كبيرة — وأعنى بها الغدة النخامية — تعتبر الغدة الحاكمة فى الجسم وإليها مرد الفضل فى أعمال النمو البيولوجية

كذلك ظهر أن هرمون الثيروكسين ، وهو مما تفرزه الغدة الدرقية ، يقوم بأعمال الهدم والبناء فى جسم الإنسان ، وإذا قل مقداره عن حده المعتدل تعرض الإنسان للبله وقصر القامة ؛ وأن بتأثير هرمون هذه الغدة يتميز الأذكياء عن الأغبياء والأقوياء عن الضعفاء بالرغم من أن ما يوجد منه فى الجسم مقدار يسير

أما هرمون الأدرنالين ، وهو مما يفرزه الكظران ، فذو علاقة كبيرة بالتعبير عن الانفعالات القوية ، ذلك أنه يؤثر فى الشجاع فيقدم وفى الجبان فيحجم ، ولهذا يزداد إفراز هذه المادة إذا تعرض الإنسان إلى خطر ، وبمقدار هذه الزيادة تزداد قوته العادية فيندفع إلى القتال والاستبسال أو إلى التماق بأذيال الفرار

وقد وجد الأطباء أن مركز الانفعال كائن فى جزء من مؤخرة الدماغ ، وأن بينه وبين الكظرين صلة وثيقة ، فإذا وقف الإنسان فى موقف أغضبه أو أخافه ، فإن مركز انفعاله فى الدماغ يرسل فى الجهاز العصبى سلسلة من الرسائل إلى الكظرين فتحملهما على إفراز هرمون الأدرنالين ليوصله عن طريق الدم إلى الكبد ، حتى إذا وصله حمله على إطلاق بعض السكر المخزون فيه ليجهاد طاقة جديدة ، يدفع بها المرء عنه الخطر بالمقاتلة أو المزيمة

إن هذه الحقائق العلمية تذكرنى بما كتبه أحد الأساتذة فى موضوع الرقة فى النفس والذهاب إلى أنها من مظاهر القوة دون أن يقوم هذا التقرير على غير مجرد التفكير والأدلاء بالأدلة البيانية . والواقع أن رقة النفس كـكل ظاهرة أخرى إنما تقوم على أصول فزيولوجية تبعثها بعض المواد الكيميائية ، وليست هى وليدة ضعف أو قوة ، وقد تجد قوى النفس أو الجسم قاسياً أو رقيقاً

إن جريمة القتل وهي أفظع ما يجره الإنسان على غيره ، قد تصدر عن رجل لم تعهد فيه القسوة أو الغلظة ، ذلك لأن الجاني لا يقوم بالجريمة مندفعاً بعامل من دماغه ، وإنما هي شيء يقع مما وراء الدماغ ، حيث يقوم الخال في توازن ما تفرزه الغدد الصماء ، حتى لقد قال أحد العلماء :

إن غدد القاتل هي التي تسحب المسدس وتسدده نحو القتيل وتطلق عليه النار فترديه ، وأن غدد السارق هي التي تنقل قدميه إلى مكان الجريمة ، وهي التي ترفع يديه لأخذ مال الغير ، وهي التي تدفع به إلى التواري والهرب .

فالإنسان من حيث تركيبه الكيميائي يقوم بالإجرام كما يقوم بنبيره . ومظهر الرقة ولطف المزاج قد يكون في الجاني وقد يكون في غيره ، بالنظر إلى قيام أو عدم قيام المواد الكيميائية التي ينبعث عنها ذلك المظهر .

وما تقدم في صدر هذا المقال عن قرض الشعر لا يخرج عن حدود الواقع ، وقد ضربتُ لقريحة الشاعر مثلاً بالبطرية الكهربائية ، فتأليف القصيدة يستهلك من قوى القريحة ما تحتاج فيه إلى أمد تستطيع به إعادة خزن ما فقد ، شأنها في ذلك شأن البطرية الكهربائية فإنها تحتاج إلى الشحن المستديم بقدر ما تطلق من كهرباء .

هذا قانون طبي يجري حكمه على قريحة الشاعر كما تنفذ كلمته على البطرية الكهربائية سواء بسواء . والنتيجة الحتمية لهذه الخاصة الآلية ، هي أن الشاعر إذا أجهد ذهنه في قرض الشعر غير مبال بالاستهلاك دون التعويض ، انحدر شعره إلى هوة الضعف في معانيه ومبانيه ، كشأن كل مصباح يوصل بتيار بطرية لا يأتيها المدد بعد أن تنفد .

إن عمل الفنان ، ورجل الصناعة ، وجناية الجاني ، كل أولئك آثار ما تنفعل به مجاميع المواد الكيميائية ، ولكن مجال هذه المواد لم يزل البحث فيه عند بداية طريق طويلة ، ومتى يصل البحث فيه إلى القرونة ، يظهر كل شيء عند هذه المواد .

(بغداد) عبد الظريفي الحمامي

الرسالة في سنتها العاشرة

على الرغم من استحكام أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها إلى عشرة أضعاف ، ستستمر الرسالة على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والاهداء ، مع المشتركين القدماء . أما المشتركون الجدد فيؤدون الاشتراك كاملا مقسطا أو غير مقسط . ومن المقرر أن المشتركين القدماء لن يتمتعوا بمزايا الاشتراك المخفض إلا إذا بدأوا اشتراكهم من ديسمبر إلى آخر يناير ١٩٤٢

ولن يمد الأجل بعد ذلك

مدرسة ...

للأستاذ أحمد الطاهر

سجا الليل وغشى المدينة ظلام دامس ، وكنت قد اخترت لليلتي كتباً أخلو إليها كما يختار الأصدقاء : قليلة العدد كثيرة الوفاء . ولكنني برمت بها وبمجلسي ، فطويت أجنحتها وعمدت إلى المصباح فأغمضت عينه ، واندفعت إلى شرفة بمنزلي ففتحت بابها وخلوت إلى السماء ؛ فإذا القمر يطل منها على الأرض ، ويسكب عليها فيضاً سخياً من ضوئه الوهاج . ولا يستطيع أولو الأمر في الحرب أن يرقوا إليه ، فيسدلوا عليه حجاباً أو ينذروه عقاباً . وقلت في نفسي ما يقوله الناس في هذه الأيام : وا حسرتاه ! كنا نجد في ضوء القمر لذة ومتاعاً ، حين كان السلم يبسط رواقه على المأمنين ، واليوم نوجس منه خيفة وارتياعاً ، حين اتخذت الطائرات ضوءه سلماً تهبط به على الآمنين . وما كادت الحرب تخطر ببالي حتى دفعتها عني دفعاً . وأرسلت البصر إلى السماء ، فرأيت سحابة باسطة الذراعين تجرر أذيالها تسعى إلى القمر في تؤدة ووناء ؛ ثم تبسط يدها على وجهه فيخبو ضوؤه قليلاً ؛ ثم تنداح فتحجب أكثر هذا الضوء ؛ ثم تنجاب عنه فإذا هو خارج من غمرته منبسط الأسارير كما عهدته . وإذا السحابة تخلفه وراءها وتمضي وهو باسم بسمة الحليم حين يمتحن في حلمه ، وهي مطمئنة اطمئنان القوي حين يفوز بخصمه

سبحانك اللهم ! وغفرانك ! حسبنا أنا حرمنا نعمة الضياء بهذه الحرب فبسطت لنا في سمائك كتاباً فيه سطور من نور . وحسبنا أننا قطعنا الأسباب على كل مبعث للضياء بما أسدلنا من سجف وأستار ؛ وإذا ضياء سمائك لا يحجبه حاجب ولا يمنعه ستار !

ترى هل أستطيع أن أقرأ في هذا الكتاب المبسوط في السماء ؟ هل من سبيل إلى فهم بيان السماء ؟ هل أفوز من القمر والسحاب والسماء والنجوم بحديث اطلع به على الناس مغتبطاً كما يزهو الصحفي حين يفوز بحديث زعيم أو عظيم مع ما بين الحديثين من تفاوت ؟

ودار بخاطري أننا أنشأنا مدارس لتعليم اللغات الحية وعكفنا على دراستها حتى قتلناها ، وأنشأنا معاهد لتعليم اللغات الميتة ، وعكفنا على ذكرها حتى أحييناها ، واحتدم بيننا الجدل فيما نفعل حتى اختلط الشك باليقين ، وانتصر قوم لرأي مبارك وتشيع قوم لأحمد أمين ، وما في ثبت تلك المدارس والمعاهد مدرسة لتعليم لغة الطبيعة ولا « حصة » لدراسة لسان السماء والأرض الذي تنطق به كل المخلوقات ولا يفهمه إلا الأقلون ؟ !

وقدرت أن من الخير لنا أن نهيب بالشعراء والأدباء ليدلوا الناس على هذه المدرسة ويبسطوا لهم نظامها ومنهج الدراسة فيها ليقبلوا على دراسة لغة الطبيعة وتخصص أسرارها بالبحث ، وقدرت أن الإقبال على هذه المدرسة رهن بما يثار حولها من دعاوة وإعلان . ولم لا نحيط الفكرة بالدعاوة والإعلان ليقبل الناس عليها ونحن في هذا الزمان نحيط الباطل بالدعاوة والإعلان حتى نحسبه حقاً ، ونبهرج الكذب والمين حتى يبدو لنا صدقاً ، واستوت لي في هذا التفكير صورة (إعلان) عن هذه المدرسة فإذا هي كما ترى :

مدرسة تعليم اللغة الطبيعية

المدرسة مؤسسة منذ خلق الله الكون وجعلها تذكرة وعبرة لأولي الألباب . ومواد الدراسة فيها لا يحصيها حصر ولا يحيط بها بيان ، يأخذ منها الطلاب بقدر ما تسع جهودهم وتحمل أفهامهم : منها السماء ونجومها ، والسحب وأمطارها ورعودها وبروقها ، والشمس والقمر ، واليابس والماء ، والجبل والسهل ، والشجر والثمر ، والرياح والعواصف ، والرمل والحصى ، وكل ما تفزع إليه الأبصار البصيرة حين تضيق بها سبل الحياة فتلتمس في جمالها النجاة ، وحين تحتبس النفس في ظلمة المادة فتلتمس الفرج في نور الطبيعة . ويدرس بالمدرسة الإنسان وطبائعه ، والحيوان وخصائصه ، كما تدرس العلل والأمراض في مدارس الطب وصحة الأبدان . والدراسة في هذه المدرسة ليلية حتى دراسة الشمس ! وقد اختير الليل لأن سواده ينم عن أدق أسرار الطبيعة كما ينم سواد العيون عن أسرار القلوب . والطبيعة خفيرة رقيقة يؤذيها الأضواء الوهاجة ، وتوئلها الأصوات الصاخبة ، فلا تبدو في أنصع أثوابها إلا في سواد الليل ، ولا يشرق وجهها إلا بعد غروب الشمس ، ولا تستيقظ إلا حين ينام الناس ، ولا تنطق إلا حين يصمت كل لسان . ويشترط للانتظام بهذه المدرسة أن يقدم الطالب شهادة بأنه قد مارس الجمال والحب والفن فلم يفرق بين ثلاثتها ، وذاق آلامها وحلاوتها ومرارتها . ولا تقوم وثيقة الزواج مقام هذه الشهادة . وأن يقدم شهادة موقعاً عليها من اثنين من كبار علماء الأرض يعترف فيها معهما بأن مبلغ علمه وعلمهما أن الثلاثة

لا يعلمون شيئاً . والمدرسة تعد الطالب للعلم بلغة الطبيعة ، وعليه بعد هذا أن يناجيها بلسانها فيفهم أسرارها ويستودعها أسراره ويقدس جمالها ويحدث عن جلالها . وأنه لموفق سعيد إن استطاع أن يمضي معها في سبيل . »

* * *

وبعد فالشاعر أو الناثر الذي يفهم لغة الطبيعة ويتمرس بها لن يكون أديه غثاً ولا تافهاً ، ولن يجد فيما يخرج للناس أو لنفسه من شعر أو نثر عناء ولا عنتاً إلا بمقدار ما يختار من الألفاظ جزلها وما يصبغ على أسلوبه من طلاوة . ذلك بأنه في إبراز المعاني والأخيلة والتشبيهات لا يحتج من بئر عميقة ، ولا يرحل إلى مكان سحيق ، إنما يتناول ذلك كله مما انطبع في نفسه ، وأوحى به حسه ، وانبجس من وجدانه ، يجريه في قصبة يراعه فإذا هو شعر أو نثر يتسلسل تسلسل ماء النهر

هذا هو الأدب الذي توحي به الطبيعة إن صادفت نفساً صفية وإحساساً دقيقاً ووجداناً سامياً وخاطراً سريعاً . تجده أدباً حياً ناطقاً يصدر طواعية لإحساس موجود وشعور قائم بالنفس ؛ ولا مراء في أن انطباع الصور في نفس الأديب شاعراً كان أم ناثراً هو الوسيلة التي تطوع له جيد الشعر أو النثر ، وذلك هو ما يعبرون عنه بهضم المعاني ، يقصدون بالتعبير أن يكون المعنى قد استقر في « بطن الشاعر » وجرى منه مجرى الدم ، وسرى فيه سريان الروح ، فلا يصدر إلا عما انطوى عليه إحساسه وقام بنفسه . وإنه ليجري مجرى هذا القول ما نراه من تأثر شاعر أو ناثر بشعر شاعر قبله أو ناثر تقدمه ، إن كان المتأخر قد بذل جهداً في دراسة أدب المتقدم ، وتقفى أثره وترسم خطاه . هنا لا نلبث أن نرى في شعر المتأخر وأدبه روح المتقدم ونفسه . وهنا يخطئ كثير من الناس فيحكمون على المتأخر بالسرقة ؛ وإنه لتجنٍّ لا مسوغ له ، وتعسف ليس له ما يجيزه . خذ مثلاً شعراء الأندلس في القرن الرابع الهجري ، ترى أنهم أعجبوا بطريقة المتنبي ومذهبه وحاولوا السير على نهجه الذي ابتدع ؛ ولم يكن ذلك بدعاً ، فإن أهل المغرب إذ ذاك قد أغرموا بالتشبه بفحول الشعراء والأدباء من أهل المشرق ؛ وإنك لواجد روح المتنبي ظاهرة بارزة في قول ابن هانئ الأندلسي :

جزعتُ حتى ليس بي جزع وحذرتُ حتى ليس بي حذر

ومن ذا الذي لا يلمس المتنبي في قول ابن زيدون :

سرّان في خاطر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وهاك ابن زيدون هذا يقول في رسالته الهزلية : وغناك مسألة ، ودينك زندقة ، وعلمك سرقة . ألا يذكرنا هذا بما قاله المتنبي في ابن كيغلغ في ميميته التي أولها : لهوى النفوس سريرة لا تعلم ؟ ولندع المتنبي فقد تقفى آثاره كل من جاء بعده فتأثر به بعضهم وسطا عليه البعض ؛ ولننظر إلى البحتري يصف بركة المتوكل :

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولاً حواشيها

ولنضع إلى جوار هذا البيت بيتاً لابن حديس يصف بركة المنصور :

وكأنما نسج النسيم لمائه درعاً تقدر سردها تقديرا

إنا لنجد الجوهر في البيتين واحداً ، ولا يقبل بأي حال أن يحمل هذا محمل السرقة ، وإنما هو تفاعل نشأ من امتزاج شعر الشاعر المتقدم بنفس الشاعر المتأخر

على هذا النحو من التفاعل يكون أثر الطبيعة في شعر الشاعر أو نثر الكاتب الذي يفهم لغة الطبيعة ويتأثر بصورها ويؤخذ بمظاهرها ، ويفتن بجمالها ، ويؤمن بجلالها : تفيض عليه غيثاً دافقاً ، وتوحي إليه وحياً صادقاً

وكذلك يكون الشعراء والأدباء

« الأسكندرية » الصاغ أحمد الطاهر

صدر حديثاً

الكف وأسرار النفس

للأستاذ أحمد السنوسي

إخصائي الحالات النفسية

يحوي أحدث تطورات علم الكف به خرائط واضحة تجعلك بسهولة تترجم خطوط الكف فتكشف بنفسك عن إيحاءات خطوط يدك . فتعرف ما يهددك من الأمراض وتتبع طرق الوقاية منها ، وما يسبب لك المضايقات والعقبات وتقضي عليه . وبذلك يكون لك القدرة على تنمية مواهبك واستعداداتك فتصبح قادراً على السير في الطريق التي تكفل لك الطمأنينة والنجاح في الحياة . يطلب من المؤلف ٣٣ ش الملكة الفريدة ومن مكتبة الأنجلو ٣٣ ش قصر النيل ثمن النسخة ٥٠ قرشاً و٣ قروش البريد داخل القطر و٥ للخارج .

٣ ـ قيمة الحرية

للصحافي العالمي ويكهام أستيد

بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة المحامي

(تابع)

تصبح مدارك الحرية ، اقتصادية كانت أو سياسية ، وهي آراء نسبية أي خاضعة لمقتضيات الظروف . والعلاقة الصحيحة القائمة بين الحرية الاقتصادية والحرية السياسية في وقت معين وفي ظروف خاصة هي عندي موضوع يجب أن يعرض في حينه للبحث الحر والدراسة الصحيحة والاستقراء السليم ، وليست بتلك المذاهب السياسية أو الاقتصادية الموضوعة . فأصحاب المبدأ الذي نادى بحرية التجارة ورفع القيود الجركية من ناحية ، وأتباع العقيدة المرقصية من ناحية أخرى ، مسئولون مباشرة أو من طريق غير مباشر عما أصاب الفلسفة الحرة من كسوف تلك الفلسفة التي كانت دعامة النظر الحر في القرن التاسع عشر . ولو قدر للدعاة الاشتراكية أن يقفوا اليوم وقد تملكهم العجب وحاروا من أثر ما يرونه من مقاومة الحكومات الاستبدادية لأحكام العقيدة المرقصية في روسيا وإكراه الناس على اعتناقها ، فإنهم يحسنون صنعاً لو أنعموا في الأمر النظر ليعرفوا إلى أي حد قد يتكشف تحقير المرقصية والاشتراكية لمبادئ الحرية السياسية عن دواعي الشرور التي ألموا لها وبكوا عليها . إن ديكتاتورية الطبقات الدنيا ومذهب صراع الطبقات ليتناقضان مع النظر الفلسفي الصائب مثلما تتناقض معه عقائد الفاشية والنازية ؛ إذ لا يتهيأ للناس مع الحكومات الاستبدادية التي تتولى السلطان باسم الطبقات الدنيا أو الطبقات المجردة من الملكية من كفالة العيش والاطمئنان للحياة أكثر مما يتهيأ لهم مع الحكومات الاستبدادية التي تنهض بالحكم على حساب جماعات الشعب الأخرى التي قد يكون لديها من حطام الدنيا ما يفرض عليها أن تفقده ويمز عليها أن تتخلى عنه أو تفقده . ولقد كان هتلر في عبارات قليلة من كتابه (كفاحي) أكثر فطنة وأسد نظراً منه في تلك العبارات التي عبر بها عن مخاوف الطبقة المتوسطة الضعيفة من أن ترجع الفهقرى فيلقى بها في غمار الطبقة الدنيا من الأجراء البائسين التي عملت على الإفلات من التردي في غمرتها . وما أصابه هتلر من النظر الألمي الذي هداه إلى أن يجعل حركة « الاشتراكية الوطنية » في وضع يتفق إلى حد ما مع رغبات الطبقة المتوسطة الرقيقة الحال الضعيفة الشأن في ألمانيا ـ لم يكن في واقع الأمر بأقل مما أصاب مرقص والمرقصيون الاشتراكيون الذين أسموا ما رسموه من خطة للانقلاب الثوري الناجح على عقيدة توامها أنه إذا تهيأ للطبقات الدنيا في جميع أنحاء العالم أن تتحد وتظفر من وحدتها بقوة لا تقف أمامها قوة ، وبسلطان لا يقهره سلطان ، وسعها أن تحطم أغلالها وتحقق آمالها . والفاشية والنازية قد طبعتا الظلم بطابع رسمي وهما تحسبان أنهما تذودان عن الملكية وتسهران على حمايتها . ولقد أعرب (دون سالفادور دي مدارياجا) عن حقيقة الأمر في أوجز عبارة ممكنة وبما مرن عليه من قوة البيان ودقة الأسلوب بقوله : « ليست الفاشية سوى صورة للشيوعية تراها العين على صفحة ماء يضطرب من الخوف »

. وهنا وكما قصدت أن أبينه تتكشف الحقيقة عن أنه لم يكن بدعاً أن ينتظم هذه السلطات الاستبدادية المطلقة معنى واحد ، هو أنها لا تحتمل للصحافة حرية ، بل لا بد لها أن تقضي عليها ؛ وأولئك الرجال الذين لا يتأصل معنى الحرية في أنفسهم نتيجة لشعور سليم وإيمان متين غالب أمرهم أن يضيقوا بحرية الصحافة ذرعاً . إلا أننا من جهة أخرى نجد مجرد التشدق بفضائل الديمقراطية والتمدح بالانضواء تحت لوائها ، وهو لا ينهض بديلاً عن الإيمان بالحرية إيماناً صادقاً رشيداً . والحق أن فقر الفكرة السياسية وعقمها في الجماعة والأحزاب القديمة العهد ، وفي الأمم التي ما زالت تنعم بحريتها هو من أعظم الشواهد العقلية على ما تكابده من خمول الشأن في زماننا هذا

وما دام الناس قد كُتب عليهم أن تستأثر المادة برغباتهم وتملك عليهم عقولهم ومشاعرهم ، فلا يعملون إلا لها ، ولا يهتفون إلا بها ، ويتأصل في معتقداتهم أنهم يعيشون للخبز وللخبز وحده ، وما دام أغلب ظنهم أن بيد الاقتصاد السياسي مفاتيح الغيب التي

تتفتح معها جميع الأبواب لتنفذ منها الحكمة الاقتصادية ، فسوف لا تصبح لغة الحرية يوماً ما وهي لغتهم الشعبية ، وسوف لا يتحدثون بها بذلك الأسلوب القوى السليم الذى يجرى على لسان عظماء القادة ممن يقدرون قيمة الحرية حق قدرها ، وإذ يعرفون لها فضلها يؤثرونها لذاتها . ومع ذلك قد تتكشف لهم الحقيقة عن أن أولئك القوم من رعاع الناس المحتقرين ، ومن أعداء البشر من المعولين النهمين ، ومن العمال المستضعفين ، ما برحوا وهم ينعمون بنصيب كاف من الفطنة والرشد يدركون معه أن اختيار النظم الحرة للهيئات الاجتماعية اختياراً موفقاً صائباً لا يستقر فى الأفكار والعقائد التى تنادى بها جماعة الشيوعية الاستبدادية من ناحية اليسار ، والمذاهب والآراء التى تفرضها الهيئات الفاشية والنازية من ناحية اليمين ، بل يجب أن ينهض على المبادئ الحرة المنظمة التى ظلت أعظم ما يصبو إليه النظر ، وتنصب عليه التجارب فى بريطانيا رجاء النهوض بمدنية الجنس البشرى

* * *

إننا بحاجة لأن نمعن فى تقصى هذا الموضوع والاستزادة من استقرائه ودراسته مادمنا نترقب ما قد ينتهى إليه من التحكم فى حرية الصحافة . وهنا نجد لزاماً علينا أن نتساءل لِمَ بلغ تهديدهم للحرية هذا المبلغ الخطير ، ولماذا انتهى إلى هذه الحال المروعة ؟

ولماذا ضيع أمثال هؤلاء الناس العظام من الطليان والألمان حريتهم واستكانوا للذلة وخضعوا للطغيان ؟ ولم يدلنا ظاهر أمرهم على أنهم يفخرون بتلك النظم التى تقضى على كرامة الإنسان وتضيق الخناق على الحرية ؟ ولم ترى فى بريطانيا هؤلاء القوم من عظماء الرجال العموميين وأصحاب الصحف الخطيرة الشأن الواسعة السلطان يطأطئون رءوسهم ويطمئنون من نحوتهم أمام دعاة تلك النظم الاستبدادية وقادتها ؟ ولم يتعامون عن تلك الجرائم النكراء التى تنادى بمسئولية قادة تلك النظم وهم إلى ذلك يعيرونهم آذاناً واعية ويمجدون أعمالهم ؟

والجواب على ذلك هو أنه وقتما ينهض فى الشعب نظام استبدادى كالشيوعية الروسية ويطبع نفسه بطابع من القوة الفاشمة والعنف المروع ثم يتأتى له بعون من رجال الشرطة الجبابرة القساة المنبثين فى كل مكان أن يمحق الحريتين السياسية والشخصية ويحرم على الناس الملكيات الخاصة ، تقف منه النظم الأخرى التى تزعم لنفسها حماية الملكيات الخاصة موقف المعارضة والمناضلة ، ثم لا يكون منها هى الأخرى إلا أن تتخذ من سلاح القوة والعنف ومن رجال البوليس السرى عوناً لها ، لا للقضاء على أولئك الرجال وتلك الأحزاب من شيعة الشيوعية فحسب ، بل ولتحطيم صند الحرية ومحاتها وممثلى الديمقراطية أيضاً

زيد العابدين محمد

إلى ضواة المغناطيسية والى المصابين بالاضطرابات العصبية

ترسل تعليمات مجانية عن شرح طرق وتدريبات تملك كيف تتخلص من الخوف والوهم والخجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعادات الضارة كشرب الدخان ومن العلل والآلام الجسدية وفى تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المغناطيسية لمن أراد احتراف التنويم المغناطيسي والحصول على دبلوم فى هذا الفن اكتب إلى الأستاذ ألفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصرى بغمرة بمصر وارفق بطلبك ١٥ مليما طوابع للمصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .

١٧ ، ٤٤

وزارة الدفاع الوطنى

تقبل عطاءات لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم ٨ يناير سنة ١٩٤٢ عن توريد القاصولية المصرى اللازمة للجيش . والشروط بقسم المشتريات والعقود .

٨٧٧٦

١٨ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي اوورد وليم لين

الأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس ـ الحياة المنزلية

جرت العادة أن ينصرف التاجر بعد تناول الفطور مباشرة إلى حانوته أو مخزنه ولا يعود إلى المنزل قبل الأصيل[1] . ولديه هناك الفراغ الكافي للتدخين متى شاء ، وكثيراً ما يدخن حرفاؤه معه ، فيقدم إلى بعضهم شبكة الخاص ، والقهوة يستحضرها من أقرب مقهى . وقد يمضي أغلب يومه في التكلم مع الحرفاء أو مع جيرانه من التجار . والتاجر يقيم صلاته على العموم في دكانه ، ويتناول بعد صلاة الظهر طعاماً خفيفاً مثل طبق من كباب ورغيف من الخبز يحضرها إليه خادم صغير من المنزل أو من السوق يومياً ، أو بعض الخبز مع الجبن أو المخللات ، أو غير ذلك مما يشتريه من الباعة المتجولين . ويدعو التاجر داعماً الحريف إلى مشاركته الطعام ، وقد يلح في الدعوة . ويحتفظ في دكانه بقلة كبيرة يملأها عند الغروب سقاء متجول ، ويعود التاجر إلى منزله مساء للعشاء ، وسرعان ما ينام ...

والعادة أن ينام الرجل هو وزوجه في سرير واحد ، إلا أن أفراد الطبقة الموسرة يتخذون غالباً سريراً منفصلة . ويتكون السرير عند متوسطي الحال مما يأتي : حشية[2] طولها حوالي ست أقدام ، وعرضها ثلاث أقدام أو أربع ، توضع على سرير منخفض من جريد النخيل ، ومخدة ليستريح عليها الرأس ، وملاءة تفرش فوق الحشية والمخدة . وغطاء الصيف خفيف ، ويسمى (حراما) ، أما غطاء الشتاء فثقيل محشو بالقطن ويسمى (لحافا) . وقد توضع الحشية على الأرض إذا لم يوجد سرير ، أو توضع اثنتان معاً واحدة فوق الأخرى . وكثيراً ما يكتنفها مسندان من مساند الديوان ؛ والكلة[1] تعلق فوق السرير بأربعة خيوط تشد إلى مسامير تدق في الحائط . ويندر أن يغير المصري ملابسه عند النوم . وفي الشتاء ينام بملابسه العادية جميعها إلا الجبة والملابس الجوخية . أما في الصيف فينامون عراة أو شبه عراة . وينصب السرير شتاء في غرفة صغيرة تسمى (خزنة) وصيفاً في غرفة واسعة . ويطوى فرش السرير نهاراً ويوضع على جانب ، أو في الخزنة السابق ذكرها . وعند اشتداد الحر ينام أغلب الناس على أسطح المنازل أو في (الفسحة) : وهي غرفة لا سقف لها ؛ ولكن تعرضهم للهواء الطلق أثناء الليل يسبب لهم الرمد وأمراضاً أخرى .

وأكثر أنواع الأسرة شيوعاً ما يصنع من جريد النخل ، وهو يجلب البق الذي يكثر كثرة فاحشة في مصر أثناء الصيف مثل كثرة البراغيث في الشتاء ، وقد سبق ذكر هذه الحشرات والبلايا الأخرى التي يتعرض لها المصريون ليلاً ونهاراً[2] . والفعل أكثر هذه الحشرات إثارة للاشمئزاز ؛ ولكن الذي يغير ملابسه الداخلية كل يومين أو ثلاثة أيام قلما تضايقه هذه الحشرة ، وإن لم يكن تجنبها سهلاً دائماً حتى مع النظافة التامة . وإذا كان القمل يضايق فإن من السهل الخلاص منه ، لأنه لا يلصق بالجلد وإنما يوجد على العموم في الثياب . ومن الممكن أن ينظف المنزل من البراغيث بكثرة النسل والكنس ، وأن يمنع الذباب من الدخول بوضع الشباك على الأبواب والنوافذ ، وإن كانت حلقاتها واسعة ، ولكن من المستحيل أن يطهر المنزل المصري من البق إذا كان أثاثه من الخشب كما هو الحال غالباً

وحياة الخدم الذكور كلها دعة وراحة ما خلا السائس الذي يجب عليه أن يرافق سيده وقت الركوب فيجري أمامه أو بجانبه

---

(١) سأصف الحوانيت وأخبار التجار في فصل الصناعة

(٢) طراحة

(١) «الناموسية» : وهي تصنع من الموصلي أو الكتان أو الكريب وهي عبارة عن مظلة يطول السرير وعرضه

(٢) في مقدمة الكتاب

وقد يقوم بعمله هذا فى أشد الأوقات حراً ولمدة ساعات طويلة دون أن يبدو عليه التعب . ولكل ثرى من أثرياء القاهرة تقريباً بواب يلازم باب المنزل ، وعدة خدم ذكور آخرين . وأغلب هؤلاء مصريون . ويستخدم أيضاً النوبيون فى القاهرة وفى غيرها من مدن مصر . وكثيراً ما يقوم النوبيون بحراسة الأبواب ؛ وهم على العموم أكثر أمانة من الخدم المصريين . وأجرة الخادم تافهة لا تتعدى ريالاً أو ريالين فى الشهر ، إلا أنه يتناول منحاً كثيرة[1] فيعطى السيد كل خادم فى عيد الفطر بعض الملابس الجديدة أو خلعة كاملة من عرى وطربوش وعمامة . وعلى الخادم أن يدبر لنفسه ملابسه السنوية الأخرى ما عدا الحذاء أحياناً . وقد يتناول ، علاوة على ما يعطيه السيد ، بعض النقود من الضيوف أو من التجار الذين يعاملهم السيد وعلى الأخص عند ما يشترى صفقة كبيرة . وينام الخدم بملابس النهار على الحصر ، ويغطون أنفسهم شتاء بدثار[2] أو حرام . وكثيراً ما يرفع الخادم الكلفة مع سيده فيضحك ويمزح معه . وفى بعض الأحوال الأخرى يخضع كل الخضوع ويظهر له كل الاحترام ، ويتقبل كل ما يوقعه عليه من العقوبة البدنية بهدوء الأطفال .

ويراعى السيد الخادم العبد أكثر من الخادم الحر ؛ ويحيا العبد حياة توافق طبيعته الكسولة . ويمكنه إذا كان غير راض عن عمله أن يجبر سيده على بيعه . وأغلب عبيد مصر يلبسون الملابس العسكرية التركية . وهم على العموم أشد الناس تعصباً فى مصر وأكثر تمرداً على إهانة المسيحيين وكل من كان على غير دينهم الذى اعتنقوه دون أن يعرفوا من مبادئه أكثر مما يعرف أطفال العرب الذين لم يمض عليهم فى المدارس أكثر من أسبوع . وسأذكر بعض أخبار الجوارى فى الفصل القادم

ومعرفة أحوال المصريين المحدثين كثيراً ما تجرنا إلى مقارنة عاداتهم المنزلية بعادات الأوربيين فى القرون الوسطى ؛ وما فى هذه المقارنة من مشابهات ، تعتبر أكثر تأثيراً مما فيها من مباينات . هذا بالنسبة للرجال ؛ أما بالنسبة للنساء فالأمر على العكس

الآن وقد أطلت الحديث عن الرجال يجب أن أنتقل إلى الكلام عن الحريم . ولكن يجب أولاً أن أذكر بعض الشىء عن الزواج وحفلاته .

يعتبر المصريون امتناع الرجل عن الزواج بلا مبرر عند بلوغ السن اللائقة مخالفاً للآداب ومسيئاً للسمعة . وقد لقيت أنا نفسى لارتكابى هذه الخطيئة (أقول ذلك حتى لا أذكر ما هو أشد قسوة) ، مضايقات ومكاره كثيرة ، واحتملت عتاباً شديداً أثناء زيارتى الأولين لمصر . فقد بدا لى فى المرة الأولى أن أنتقل من المنزل الذى سكنته بعض شهور فى شارع كبير من شوارع القاهرة إلى منزل آخر فى حى مجاور ، وكتبت عقد الإيجار ودفعت العربون ، ولكن جاءنى وكيل المالك بعد يومين يخبرنى أن سكان الحى وأكثرهم أشراف يعترضون على سكنى بينهم لأننى أعزب ؛ ولكنهم يقبلوننى بكل سرور إذا اقتنيت على الأقل جارية تنفى عنى عار العزوبة . فأجبته إننى لا أنوى الإقامة بمصر فلا أحب أن اتخذ لى زوجة أو جارية قد يضطرنى الرحيل إلى تركها . فأعاد إلىّ العربون . وساعدنى الحظ فى حى آخر فلم يعترض على عزوبتى أحد ، وإنما طلب منى الوعد بعدم السماح لأى شخص بلبس القبعة أن يزورنى فى الحى . ولكن بعد أن استقر بى المقام أخذ شيخ الحى يحاول إقناعى بوجوب الزواج . ولم يقم وزناً لكل ما أبديته من الحجج التى تمنعنى عن الزواج وقال : « تذكر لى أنك تريد ترك مصر بعد سنة أو سنتين . وأن هنا أرملة شابة جميلة تسكن على مقربة منك ، ويسرها أن تصبح زوجتك مع رضاها بأن تطلقها حينما تترك البلد . وفى وسعك طبعاً أن تفعل ذلك إذا لم تعجبك . » وقد استطاعت هذه الشابة مراراً أن تجعلنى أبصر وجهها الجميل أثناء مرورى بالمنزل الذى تسكنه مع أهلها . فقلت لصاحبى إننى رأيت وجهها بطريق الصدفة ، وإنها آخر امرأة أرغب فى الزواج منها فى مثل هذه الظروف لتأكدى من أننى لا أستطيع طلاقها أو فراقها إذا عشت معها . وقد شق علىّ أن أسكت صديق الخدوم . لقد ذكرت فى المقدمة أن الأعزب أو من لا يقتنى جارية يضطر إلى السكنى فى الوكالة إلا إذا كان يعيش مع أهله ، ولكن الفرنج الآن يُعفون من هذا القيد .

وتبلغ المصريات فى سن مبكرة قبل نساء البلدان الباردة . وكثيراً ما يتزوجن فى الثانية عشرة أو الثالثة عشرة . وقد ينضجن قبل السن بشكل يستحق الاعتبار ويتزوجن فى

(١) ويطلب الخادم من السيد الأوربى أجراً مرتفعاً . كما أنه يتناول منه منحاً أوفر عدداً وقيمة . وتلك العطايا إذا منحت بتعقل يكون لها أثر حسن ، ولكنها كثيراً ما تشجع على الكسل والخداع

(٢) أنظر سفر الخروج ٢٢ / ٢٦ ، ٢٧ : (إن ارتهنت ثوب صاحبك فإلى غروب الشمس ترده له . لأنه وحده غطاؤه . هو ثوبه لجلده . فى ماذا ينام ..)

العاشرة[1] . إلا أن هذا الزواج المبكر غير شائع . وقلما تبقين بدون زواج بعد السادسة عشرة . وقد تصبح الفتاة المصرية أماً فى الثالثة عشرة أو قبل ذلك . ونساء مصر على العموم ولودات ، ولكن الأجنبيات اللاتى توطن مصر عقيمات غالباً . ويندر أن يعيش من يولد فى مصر من أولاد الأجانب إلى سن الكهولة ولو كانت الأم مصرية . ولهذا يرجع السبب فى تبنى المماليك المعقين غيرهم من المماليك

ومن الشائع بين العرب فى مصر وغيرها أن يتزوج الرجل من ابنة العم أو الخال . ويستمرون بعد الزواج على التنادى بألقاب القرابة . لأن رابطة الدم لا تنفصم ، ولكن صلة الزوجية عرضة للزوال . ومثل هذا الزواج يدوم على العموم بسبب رابطة القرابة ، وقد تربطهما وحدة البيئة فى طفولتهما ، ولكن قلما يسمح للفتى أن يرى وجه قريبته فى الطبقتين العليا والوسطى ، أو يقابلها أو يحادثها حين تقرب من سن البلوغ إلى أن تصبح زوجته

ويتم زواج الفقراء فى القاهرة بالطريقة الآتية ، إلا إذا كانت أرملة أو مطلقة فيكون الحفل صغيراً . تبدأ أم الراغب فى الزواج أو إحدى قريباته بوصف الفتاة التى تكون عرفتها وذكر أحوالها ، وترشده فى اختياره[2] . وقد يستخدم خاطبة وهى امرأة عملها أن تساعد الرجال فى الزواج . وقد يستخدم أكثر من خاطبة . وتقدم الخاطبة بيانها عن الفتيات مسارة ، فتصف الواحدة أنها كالغزال جمالاً ورشاقة وصغيرة السن ، والأخرى أنها ليست جميلة ولكنها غنية ، وهكذا . والعادة أن تذهب أم الخاطب وبعض قريباته مع خاطبة لزيارة عدة بيوت . وللخاطبة حق الدخول لاحترافها مهنة الزواج ، إذ أن النساء كالرجال يستخدمنها أيضاً . وقد تقوم الخاطبة بمهنة (الدلالة) أيضاً تبيع الحلى والملابس الخ ، فيسهل عليها دخول البيوت تقريباً . وتقدم النساء اللاتى يرافقن الخاطبة ، للبحث عن زوجة لقريبهن ، باعتبارهن زائرات فقط ، وقد لا يلبثن طويلاً إذا لم يصادفن مرادهن ، ويفهم الطرف الآخر طبعاً القصد من الزيارة . ولكن إذا وجدن بين نساء المنزل (ولا بد من رؤيتهن جميع من يصلحن للزواج) فتاة أو امرأة شابة تتحلى بالصفات اللازمة يكشفن عن قصدهن ويستفهمن ، إذا لم يكن طلب الزواج وقتئذ مستقبحاً ، عما تملك الفتاة من أملاك وحلى الخ . وقد تملك الفتاة إذا توفى أبوها منزلاً أو أكثر وحوانيت كثيرة الخ . وتملك كل بنت على وشك الزواج ، فى الطبقتين العليا والوسطى ، مجموعة من الحلى الذهبية والجواهر فى جميع الأحوال تقريباً . وبعد أن يستعلم الزائرات عن هذا وغيره يقدمن تقريرهن إلى الراغب فى الزواج . فإذا رضى بذلك البيان يقدم إلى الخاطبة هدية ويرسلها ثانية إلى عائلة الفتاة لتعرفهن رغباته . وتبالغ الخاطبة على العموم فى حديثها عن صفات الرجل الجذابة وثروته الخ ، فتتحدث مثلاً عن شاب خامل تعلم هى أنه لا يكاد يملك شيئاً ولا يمتاز بشىء بقولها : « يا ابنتى ، إن الشاب الذى يرغب فى الزواج منك صغير السن لطيف العشرة أنيق أمرد ثرى جميل الملبس مغرم باللطائف ؛ إلا أنه لا يستطيع أن يتمتع بهذا الترف وحده فهو يريد أن تكونى شريكته . وسيطيك كل ما يشترى بالمال ؛ وهو لا يخرج كثيراً ؛ وسيمضى وقته كله إلى جانبك يلاطفك ويدللك » .

عبد الله طاهر نور

(١) وكثيراً ما يخطبن قبل ذلك بسنتين أو أكثر

(٢) وكان إرسال إبراهيم رسولا إلى بلده ليبحث عن امرأة لاسحق ابنه (أنظر سفر التكوين ٢٤) يعتبر تماما عين الوسيلة التى قد يتبعها العرب المحدثون فى مثل هذه الظروف لو تيسر الأمر لهم .

اللحن الجديد

« للشاعر المجهول »

بَعدَ السنينَ الطوالْ ورَغمَ كيدِ الأعادِى
قد جازَ فيكَ المُحَالْ ونِلتُ منك مرادى

الليلُ غفْوَانَ يدرى ما كان بينى وبَيْنَكْ
وكنت فى الليل بَدرى وكان نورُك حُسْنَكْ

فى لحظةٍ صار عيشى يَفوقُ عُمرَ الوجودْ
فليحرُسِ الحبُّ طيشى فى قطف تلك الورود

تِهْ بعد هذا وسافِرْ إلى أقاصِى نَوَاكْ
لم يَبْقَ لى ما أُحاذِرْ من شقوتى فى هواكْ

لِمَنْ صفاؤك بَعدِى كدَّرْتُ بالفَتْكِ وِرْدَكْ
أعيش إن رُمتُ وحدِى فمِتْ إن اسطعتَ وحدكْ

أنت الأسيرُ الرهينْ لصَبْوَتى وخَبَالى
فاحذَرْ حِذارَ الطعين من سطوتى وصِيالى

أأنت تُخلِف وعدكْ وكنتَ رمز الوفاء ؟
أأنت تُنكر عهدكْ يا جذوةً من صفاء ؟

لِمن تكون ؟ أجِبنى فأنت فوقَ الظُّنونْ
بمن أهيم ؟ أعِذنى قد طاب فيك الفُتُونْ

لو شئتُ، لا شِئتُ، طارت غوايتى عن حِماكْ
ولو أردتُ لجالتْ مآتمى فى رُبَاكْ

يا مِحنتى فى المساءْ وفِتنتى فى النهارْ
قد طال فيك العناء فأين مِنْك الفرارْ ؟

ماذا يريدُ غِضَابُكْ ماذا يروم جَفَاكْ
إلى الفؤاد إيابُكْ إذا أردتُ لِقَاكْ

إرجعْ إلىَّ تَجِدْنى كما عَهِدتَ وأسمعْ
أو فانْتَظِرْ بَعدُ منى فَتًى يسمّى ويَذبح

ظَبْىٌ يروح ويَغْدُو فى شائكات الشُّهوب
ويأمنُ الليثَ يَعدو أأنت ذاك الدءوب ؟

سأستبيحُ احْتِبَالَكْ إن ثارَ شوقى إليكْ
سأستجيزُ اغتيالَكْ إن طال خوفى عليكْ

بينى وبين اقتناصِكْ صُبَابةٌ من حَيَاءْ
فاسلُكْ سبيل خلاصِكْ إن اشتهيتَ البقاء

إن كنتَ تُنكِرُ جهلاً فَتْكَ القلوب الجوارحْ
فسوف أسقيك سَجْلاً يُدمِى عيونَ النوائح

لا ، لن تكونَ لغيرى والله ، لا ، لن تكونْ
وكيف يا وَحْىَ شعرى أهابُ فيك المَنُون

أضلُّ حُبُّك قلبى والحبُّ كالنور يهدى
أكان عندكَ ذنبى أنى وفيتُ بعهدى ؟

لولا التُّقَى لجعلتُكْ تسبيحةً فى الصلاةْ
ألا ترانى أصرتُكْ تغريدةً فى الحياةْ

أدوسُ جَمْرَ الجحيمْ عند ارتياد جمالِكْ
فأين روضُ النعيمْ عند استياف وصالِكْ

لَحْنٌ كلحنِ الرحيقْ فى الكأسِ، ذاكَ بُغَامُكْ
فهل ترانى أُفِيقْ ومن شرابى كلامُكْ ؟

الزنبـــق

للأستاذ خليل مردم بك

حَيَّتْكَ باسمةَ ثغورُ الزنبقِ ... مفترةً عن طيِّبٍ مُتألِّقِ
ضَمَّتْ براعمُها شِفاهَ مقبِّل ... وحنتْ عليكَ حنوَّ صبٍّ شَيِّقِ
وكأنها فى الماء خودٌ شمَّرتْ ... عن ساقها عند الورود لتستقى
وكأنها استحيتْ فغضَّتْ طرفَها ... وتطأمنتْ خفرًا برأس مطرق
نهلتْ أفاويقَ الندى زهراتُها ... فتفتحتْ كالشارب المتمطِّق
لم تقوَ صُفراها على برد الندى ... أفما تراها ذاتَ ثغر أزرق
وترى عناقيد البراعم تنضوى ... متلازماتٍ فى عناقٍ ضيِّق
من طيِّبِ الأنفاس والأردان ذى ... جفنٍ على حلم التعانق مطبق

عذراء تستهوى العيونَ بطلعةٍ ... وضَّاءةٍ بيضاء كالعرض النقى
تختال من زهو الصبى فى ميعةٍ ... ومن الشباب وحسنه فى رِيِّق
فكأنها ببياضها وسنائها ... برزتْ إليك من الضحى فى رونق
وتسربلتْ بغلالةٍ وبريطةٍ ... من سندسٍ خُضْرٍ ومن إستبرق
خفَّاقة الأقراطِ زهراء الحلى ... معقودة الإكليل فوق المفرق

خدَّاكَ خدَّاكَ ، آهاً ... من الجمال الفصيحْ !
عيناكَ عيناكَ ، واهاً ... من الفتون الجريح !

لم يؤذني بُخْلُ لفظِكْ ... فى جَهْرِهِ والتُخُوتْ
عرفتُ من وحْى لحظِكْ ... أنَّ الهوَى لا يموتْ

لو قيلَ يومَ احتضارى ... هـــذا شقيقُ الفؤادْ
لأشرقتْ بكَ دارى ... وكان يوم المَعادْ

مَن أنتَ ؟ ضلَّ العَذُولْ ... فى غاية الافتضاحْ !
مَن أنتَ ؟ لا ، لن أقولْ ... سِرُّ الهوَى لا يُباحْ !

ه الشاعر المجهول ه

ما أقبلتْ إلا بثغرٍ باسمٍ ... وبمقلةٍ نشوى ووجهٍ مُشرق
وكأنها سكرى تمايل عِطفُها ... ورنتْ بجفنٍ بالنعاس مرنَّق
سرَّ النسيمُ على الندى بجفونها ... فترجرجتْ قطراتُه كالزئبق
إنى ليشجينى الندى متعلقاً ... بجفونها كالمدمع المترقرق
تُغْنى بريَّاها وطيب شميمها ... عن بابلىٍّ فى الدنان معتَّق
أنفاسُها تحيى النفوسُ وريحها ... روحٌ تشيع بسائف متنشق

هيفاء إن رفَّتْ أعاليها بدتْ ... فى الحوض شروى رايةٍ فى زورق
ماشئتَ فى زهراتها من كوكبٍ ... متألقٍ بشعاعه متمنطق
كم زهرةٍ رفَّتْ فخلتُ فراشةً ... بيضاء رفَّ جناحُها بترفق
أطباقها مثلُ الأنامل شُبِّكتْ ... فى كل كمٍّ تلتقى فى مأزق
أو كالجفون طويلةً أهدابُها ... من ناعسٍ ومغمَّضٍ ومحدِّق
أو لؤلؤٍ رطبٍ تشظَّى حوله ... صدفٌ أنافَ على بياض المهرق

إن الذى خلق الأزاهر خصَّها ... بقضيبها وبتاجها والبيرق
الحورُ فى جنات عدنٍ تُجتلى ... والبيضُ منها فى خمائل (جِلِّقِ)

(دمشق) خليل مردم بك

تصدر فى أول العام الهجرى

فى حجم أكبر وصورة أوفر

مجلة الفكرة العربية والثقافة الإسلامية

الاشتراك السنوى ٢٠ وللمعلم الإلزامى ١٥

صدر العدد الحادى عشر وفى موضوعاته :
الجيل الجديد — شباب الأمم العربية — أحلام كتابنا وأكاذيبهم — الثالوث المادى فى حياة الفراعنة — الفرس الأول للعرب — النظريات العلمية فى القرآن — الطبيعة فى تركستان الاسلامية — أمة تسودها الفوارق — طريق المعلم الالزامى
المكاتبات بعنوان : « الأنصار » شارع البستان رقم ٢٤

حكم فى القضية ٦٠٧ سنة ٩٤١ عسكرية بنى سويف بتغريم نور الدين بدوى خضرى بشارع مقبل بنى سويف مائتى قرش لأنه باع بطاطس بأزيد من التسعيرة

غبر وعبر

لخص الأستاذ الكبير ا . ع فى كلمته المنشورة بالعدد ٤٣٨ من الرسالة القضية التى بيننا حول كلمة (عبر) واحتجاجى لها واحتجاجه عليها

وكنت قد أزمعت أن أفصّل بالشواهد رأيى . حتى نشرت الرسالة بالعدد ٤٣٩ كلمة الأديب محيى الدين صابر بدار العلوم يدلنا على رواية أخرى لهذه الكلمة فى بيت سوار بن قارب وجدَها فى تفسير ابن كثير وهى :

فشمرت عن ساق الإزار ووسّطت
بى الدعلب الوجناء غُبْرَ السباسب

ثم قال إنه لا يستبعد أن تكون رواية عبر مصحفة عن غبر ، ثم نقل عن اللسان أن الغبراء هى الأرض التى لا يهتدى إلى الخروج منها

وأقول : إنها رواية سديدة جيدة ، ويؤيدها كثرة ورود هذه المادة (أغبر — غبراء ...) فى وصف السفر وقطع السباسب والفلوات ، ومن ذلك قول ذى الرمة :

وغبراء يقتات الأحاديث ركبها
وتشقى ذوات الضغن من طائف الجهل[1]

وقول القُلاخ :

وبلدٍ أغبر خشيٍّ الخطـــبْ
يضحى به موج السراب يضطرب[2]

وقول ذى الرمة أيضاً :

وغبراء يحمى دونها ما وراءها ولا يختطيها الدهر إلا الخاطر[3]

ومع هذا أقول : إن لهذه الرواية وجهاً من الضعف لا يخفى على اللبيب ...

ذلك أن العامل فى كلمة غُبر فى رواية ابن كثير هو الفعل (وسطت) ... والكلام بهما مستقيم لا غبار عليه . ولكننا نعلم أن الرواية فى بعض المصادر (أرقلت) وهذه لا تتفق مع كلمة غبر جمع غبراء ولا يستقيم الكلام بهما لأن الإرقال هو الإسراع وفعله لازم[1] . فما معنى « وأسرعت بنا الناقة غبر السباسب » ؟

زد على ذلك أن الروايات مختلفة فى هذه الكلمة فهى (عبر) فى جمهرة شعر العرب ص ٢٦ ، وهى (بين) فى سفينة الراغب ص ٦٣٨ ، والسيرة الحلبية ج ١ ص٢٦٧ ، وشرح لامية العجم للصفدى ج ١ ص ١٨ ، وهى غبر فى ابن كثير

واختلاف الروايات على هذا النمط — مضافاً إليه وجه الضعف الذى ذكرت يعوز رواية ابن كثير إلى مرجع . فلسنا نستطيع إذن أن نقطع بها إلا بهذا المرجع المنشور

وبعد ... فقد رجا الأديب محيى الدين أن تكون هذه الرواية قد حلت ما بيننا من ألغاز النحو وأحاجيه ، وأقول إن القضية قد خرجت من كلمة (عبر) صحيحة كانت أو فاسدة ، إلى قضية نحوية أخرى جديرة بالبحث والتمحيص ، قلت وقال فيها الأستاذ ا . ع وليس من مصلحة اللغة أن يبتر الكلام فيها ... هى قضية المصدر الذى يقع حالا . وإن لى فى هذا الموضوع بحثاً للاجتهاد فيه نصيب كبير أرجو أن أوفق إلى عرضه إن اتسع صدر الرسالة لمثل هذه البحوث وإنه لكذلك إن شاء الله

محمد محمود رضوان

رسالة المعلم الإلزامى وكيف ينبغى أن تكون

أبنا فى كلمتنا السابقة عما يجب أن يكون عليه المعلم الإلزامى ووعدنا القارئ الكريم أن نجيب على تلك الأسئلة التى طالما جهر بها المشفقون على الأمة من رسالة المعلم الإلزامى وهل يقدرها المعلم ؟ وهل أداها على الوجه المرضى ؟ وإذا لم يكن فلماذا

إما أن المعلم يعرف رسالته فهذا ما لا سبيل إلى جحوده ، وإما أنه أداها على الوجه الأكمل فهذه مسألة فيها نظر ...

(١) مجموعة المعانى ص ١٣٢ (٢) مجموعة المعانى ص ١٣٣
(٣) شرح المضنون به على غير أهله ص ١٠٢

(١) نعم إنه قد يأتى متعديا بمعنى تعلم ولكنه قليل لا يكاد يذكر فيما أعلم فلا يحمد به

قام المعلم بعمله على قدر ما وسعه جهده ، ولكنه ارتطم بعوامل قوية حدت من عمله ، وأضعفت من معنويته ، وكان من أهم تلك العوامل

١ — أن وضع نظام « التعليم الإلزامى » لم يكن الوضع الطبيعى لمسايرة حاجة المجتمع فلم يحدد له هدف ، ولم يرسم له خطة فنظام « نصف اليوم » وتخبط الوزارة فى خطط الدراسة والمقررات وعدم الاستعانة بعنصر المعلم الالزامى فيما يشورها من مشاكل جعلته يعش حبواً

٢ — عدم تقدير المعلم ، لا من الحكومة ولا من الشعب ، والحكومة وضعت المراقيل فى طريقه ولم توفر له وسائل العمل ، والشعب نفسه لم يتهيأ لأن يهضم هذا النوع من التعليم ، ونظر إليه نظرة المتشكك الوجل — وكان الناس فى هذا فريقين : فريق الأغنياء ، وقد خشوا على أنفسهم أن يتعلم الشعب ، وفى هذا انهيار لهم كما كانوا يظنون . . . وفريق العامة ، وقد كانوا نحو التعليم كالطبيب المداوى مع مريضه الجاهل

٣ — مرتب المعلم : حددت له الدولة راتباً ضئيلاً لا يكفيه القوت الضرورى ، فجعلته يئن تحت عبء الحاجة

٤ — أرهق بالعمل إلى درجة الإعياء ، وضنت عليه الدولة بما يفتقر إليه من كتب ومراجع وأدوات

ولكن المعلم بقى وحده يصارع تلك العوامل بقوى نفسية عجيبة كان من أثرها قيام « اتحاد التعليم الإلزامى » ، فساعد المعلم على إزالة تلك الأشواك من طريقه ، وأمكنه أن يسمع صوت المعلم لمن بيدهم الأمر ، وها هو ذا قد نجح بعض الشىء ، وكان من أثر ذلك أن تهيأت الأسباب لقبول دعوته ، وأرهفت الآذان وتفتحت لسماع حجته ، فتحركت الوزارة أخيراً فنشطت للعمل ، وها هو المجلس الأعلى ينظر ويبحث

ولو أن الدولة كرست جهودها لتحقيق مطالب التعليم الإلزامى ويسرت للمعلم أسباب العمل — لكفاها مؤونة تلك الجهود التى تذهب سدى من تلك الجمعيات — ولقام هو بأفضل مما تقوم به وزارة الشؤون الاجتماعية

والأمل كبير فى الله وبفضل الاتحاد والاعتصام بالعروة الوثقى ، ومن كان لهم الفضل فى الأخذ بيد المعلم وعلى رأسهم أستاذنا الكبير الزيات أن تثمر رسالة المعلم وينجح التعليم ، وأن تنهض البلاد ، وفقنا الله إلى ما فيه الخير

محمود محمد عبيد
وكيل نقابة القاهرة للتعليم الالزامى

غلط فى كتاب المفصل

فى كتاب « المفصل فى تاريخ الأدب العربى »[1] — تأليف بعض رجال المعارف — الأبيات التالية منسوبة إلى ابن رشيق القيروانى :

ولما بدا لى أنها لا تحبنى ... وأن هواها ليس عنى بمنجلى
تمنيت أن تهوى سواى لعلها ... تذوق صبابات الهوى فترق لى
فما كان إلا عن قليل وأشفقت ... بحب غزال أدعج الطرف أكحل
وعذبها حتى أذاب فؤادها ... وذوّقها طعم الهوى والتذلل
فقلت لها ، هذا بهذا ، فأطرقت ... حياء وقالت : كل عائب ابتلى

وهذه الأبيات نسبها ابن رشيق فى عمدته إلى على بن الله من سلالة جعفر بن أبى طالب حيث قال[2] : « ومثل هذه الحكاية ما قاله بعض الكتاب ، وقد دخل على على بن عبد الله بن جعفر ابن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وهو محبوس ، أين هذا الجعفرى الذى يتحدث فى شعره ؟ قال على : فعلمت أنه يريدنى لقولى : ولما بدا لى الأبيات فقلت أنا هو جعلت فداك »

(العراق — حلة) مهدى الظالم

بين صبرى وابن دريد

وقع نظرى على أبيات فى الغزل لإسماعيل صبرى وردت فى ديوانه . . . بعثت فى نفسى دهشة عجيبة لا لروعتها وفتنتها ، بل لأنها خلقت مشكلة عجيبة ، فما هى هذه المشكلة ؟

المشكلة أن هذه الأبيات بقليل من التحريف اللفظى وجدتها منسوبة « لأبى بكر بن دريد » فى مقال للشاعر الكبير محرم

(١) المفصل — الجزء الثانى ص ١٨٠
(٢) العمدة — الجزء الثانى ص ١١٨ — ١١٩

بالعدد الثانى من المجلد الثالث لمجلة أبولو (أكتوبر سنة ١٩٣٢)

أما البيتان الواردان فى ديوان صبرى فهما :

إن الذى أبقيت فى مهجتى ... يا متلفَ الصبِ ولم يشعرِ
خشاشة لو أنها قطرةٌ ... تجول فى عينيكَ لم تُنظَرِ

وأما بيتان « لأبى بكر بن دريد » الواردان فى مقال الشاعر محرم فهما :

إن الذى أبقيت (من جسمه) ... يا متلفَ الصَّبِ ولم يشعر
(صُبابةٌ) لو أنها قطرةٌ ... تجول فى جفنيكَ (لم تقطر)

فليس من شك فى أن صبرى قد سرق البيتين وليس له غير تغيير لم يوفق فيه . وليس من شك أيضاً فى غفلة المحققين لديوان صبرى عن هذه السرقة العجيبة .

حسين محمود البشبيشى

أيهما أصلح لتعليم الأطفال المعلم أم المعلمة ؟

كنت أعتقد بعد أن كتب الأستاذ الزيات كلمته عن المعلمين وبعد أن قدم الأستاذ مصطفى شكرى بك تقريره عن التعليم الأولى ، أن وجه الحق فى هذا الموضوع قد أصبح واضحاً ، وأن مجال القول لم يعد فى حاجة إلى إعادة ، وباب الكلام لا يتسع لزيادة !

ولكنى قرأت فى جريدة (المصرى) رأياً لوكيل وزارة المعارف للمساعد الأستاذ شفيق غربال بك استحسن فيه إحلال المعلمات محل المعلمين ، وتمنى لو استطاعت الوزارة أن تعمم هذا فى جميع المدارس . وقال : (إن إحلال المعلمات محل المعلمين فى المدارس الأولية والإلزامية للبنات مشروع عظيم ؛ لأن المعلمة كالأم ، والأم أولى بحضانة الطفل ، ولو استطعنا أن نعمم ذلك فى المدارس الأولية والإلزامية ، لكان هذا أوفق وأحسن)

قرأت هذا وفهمت منه أن الأستاذ الوكيل يرى أن المعلمة أوفق وأحسن من المعلم حتى فى تعليم البنين ، لأنها كالأم والأم أولى بحضانة الطفل ! !

ولا شك أن هذا كلام يقال فى مقام العواطف لا فى مقام التربية والتعليم ، وإن حرمان الطفل من عناية المعلم أبلغ فى الضرر من حرمانه من رعاية المعلمة ! وحاجته إلى أبيه ، لا تقل عن حاجته إلى أمه ، وإذا قلنا إن المعلمة ستبث فى نفسه الحنان والعطف والرقة والشعور بالجمال ، فإنه سيدق مع ذلك فى حاجة إلى من يعلمه الرجولة والشجاعة والحزم والتضحية والبطولة والاعتداد بالنفس . ومن الذى يستطيع هذا غير المعلم ؟

أما الحضانة فليست الأم إلا قبل سن التعليم . فإذا بلغ الطفل السابعة كان لأبيه بنص الشريعة ؛ لأنه أدرى بتربيته ، وأبصر بمصلحته .

وإذاً يكون الاستدلال بحق الأم فى الحضانة غير مستقيم مع قواعد المنطق ، ولا مع وقائع الحال

والناس يرون الرجل الذى تنفرد المرأة بتربيته ناقص الرجولة ويقولون عنه (إنه ابن امرأة !)

ولم تأخذ البلاد الأوربية إلى الآن بنظرية انفراد المعلمة بتربية الطفل مع أن المرأة عندهم سبقت المرأة عندنا بأجيال ! كما أن ثقافة المعلم عندنا أرقى من ثقافة المعلمة ، لأن منهاج مدارس المعلمين أوسع من منهاج مدارس المعلمات ؛ والمعلم يزيد فى ثقافته الدرس والمطالعة ، بينما المعلمة لا تفكر فى شىء من هذا بعد خروجها من المدرسة . والوزارة نفسها جعلت مناهج البنين غير مناهج البنات فى المدارس الإلزامية ! وفى كل هذا ما لا يستقيم مع رأى سعادة الوكيل !

على أن الوزارة قد حاولت تجربة هذه الطريقة منذ خمس سنوات ، فأشركت المعلمات مع المعلمين فى مدارس البنين . وترتب على هذا أن ساءت الحالة العلمية ، واختل النظام ؛ لأن المعلمة كانت تقف فى وسط التلاميذ حائرة . فإذا ثاروا وعجزت عن إسكاتهم جلست تبكى مغلوبة على أمرها ، حتى يأتى أحد المعلمين ، فيسكت التلاميذ عند رؤيته ، ويلزم كل واحد منهم عمله !

وأذكر أن معلمة ذهبت تشكو لرئيس المدرسة تلميذاً ، لأنه كان كلما ضربته بالمسطرة على يده يضحك ويسألها المزيد !

واضطرت الوزارة آخر الأمر وبعد أن ضج المفتشون من الفوضى . إلى تخصيص المعلمات بالتعليم فى مدارس البنات !

وإذاً يكون القول بإحلال المعلمات محل المعلمين فى المدارس الإلزامية مجازفة غير مأمونة العاقبة ، وفكرة أثبتت التجارب السابقة فشلها !

وأكبر ظنى أن مثل هذه الآراء المرتجلة ، هى التى أضاعت التعليم الإلزامى ، وأفسدت طرائقه ، وغيرت حقائقه ، وحالت بينه وبين الإنتاج المنشود . ولو أنصف القائمون بأمره لردوا الأشياء إلى أصولها ، والأصول إلى قواعدها ، ولرجعوا إلى المعلم يسألونه رأيه فيما هم فيه مختلفون ، ويستخبرونه عما لا يعلمون .

(المنصورة) على عبد الله

الميتـــة . . .

لجي دي موباسان

بقلم الأديب كمال رستم

أحببتها حباً عنيفاً ! لم يحب الإنسان ؟ أليس مجيباً ألا ترى في العالم إلا إنساناً ! ألا تقوم في النفس إلا فكرة ! ولا في القلب إلا رغبة ! ولا في الفم إلا اسم ! اسم يرقى دواماً ! ... يرقى كماء نبع ثجاج من أعماق نفس ولهى ! يرقى إلى الشفاه ! تذكره ! وتذكره ! تتمتم به دائماً ، وفي كل مكان كأنه صلاة !

سوف لا أقص قصتنا ؛ فليس للحب إلا قصة واحدة ! قابلتها وأحببتها ! هذا كل ما في الأمر ! وعشت عاماً تتمرني برقتها ، وتحتويني بين ذراعيها ، وتخصني بطرفها ، وترعاني بلحظها ؛ وتلفني بأدثرتها ، وتهمس إليّ بكلماتها ! . . . عاطفاً معطوفاً ، حبيساً في كل ما يصدر عنها بهذه الطريقة الفاضلة التي لم أحاول أبداً أن أحرف غيرها ، ليلاً كان أو نهاراً ، حياً كنت أو ميتاً ، على هذه الأرض المجوز أو في مكان آخر

ماتت زوجتي إذن ! كيف ؟ ... لا أدري !

عادت ذات مساء مطير ، يبلل المطر ثيابها ، وفي اليوم التالي سعلت ، واستمرت تسعل حوالي أسبوع لزمت بعده سريرها !

كيف حدث ذلك ؟ . . . لا أدري !

عادها أطباء ... وصفوا الدواء ... ومضوا ! ...

واستحضرت أدوية ... وامرأة تجرعها إياها ! ...

كانت يداها دافئتين ، وجبهتها متقدة منداة ، ولحظها وامضاً حزيناً . حدثتها وأجابتني ! ما الذي قلناه ؟ لا أدري !

نسيت كل ما قيل ! كله ... كله ! ... ماتت إذن ! وإني لأذكر جيداً آهتها الخافتة . آهتها الأخيرة ! ... وتأوهت المعرضة قائلة : « آه » ! فأدركت ... أدركت ! ...

لا شيء ؛ عرفت أكثر من ذلك ! أبصرت قسماً انفرجت شفتاه عن كلمة « خليلتك » ! خيل إليّ أنه سبها ؛ فليس لنا الحق منذ ماتت أن ندعوها كذلك ، ولذلك طردته !

وحضر آخر وكان طيب القلب للغاية ، لطيفاً للغاية حتى لقد استعبرت عند ما حدثني عنها ! ولقد أخذ برأيي في ألف شيء يخصوص الجنازة ، لا أذكر الآن منها شيئاً مطلقاً وإن كنت أذكر جيداً صورة ناووسها ؛ وصوت المطرقة حينما أغلقوه عليها ! ... أواه يا إلهي ! ... ووريت ... ! ووريت ! هي ! في هذه الحفرة ! وحضر بعض الناس ! بعض الأصدقاء ! فررت منهم ! همت على وجهي طويلاً في الطرقات ! ثم عدت أدراجي إلى منزلي ؛ وفي اليوم التالي قمت بسفرة طويلة ! ...

* * *

رجعت أمس إلى باريس ! ...

وعند ما رأيت ثانية غرفة نومي ؛ غرفة نومنا ! مهادنا ، أثاثنا ، كل ما في هذا المنزل ... كل ما بقي من حياة شخص بعد موته . . . أصبت برجفة حزن محض ! فقمت إلى النافذة وأطللت منها على الطريق ! ...

ولما لم أستطع أن أصبر على الإقامة بين هذه الأشياء ، بين هذه الجدران ، تناولت قبعتي وخرجت أبغي فكاكا ! وفي طريقي إلى الباب مررت بمرآة البهو الكبيرة التي وضعتها هناك ، لترى فيها نفسها من رأسها إلى إخمص قدميها كل يوم عند خروجها لتتأكد من أن زينتها كاملة ، وأنها تبدو جميلة آسرة من حذائها إلى قبعتها ! ...

وقفت أحدق في هذه المرآة التي طالما عكست صورتها ، طالما ! طالما ! . حتى خيل إليّ أنها تتراءى فيها ! . . .

كنت ثم واقفاً ، مرتجفاً ، وعيناي مثبتتان على زجاج المرآة ؛ على الزجاج المسطح ! الضنين ! الرهيب ! ... الزجاج الذي يحتويها . ! يحتويها بأكملها ؛ يتمتع بمشاهدتها أكثر مني ؛ أكثر من نظرتي الولهى ! ... خيل إليّ أني أحببت هذه المرآة ! لمستها ؛ ألفيتها باردة أواه ! يا لها من ذكرى ! يا لها من ذكرى !

مرآة مؤلمة ! مرآة متقدة ! مرآة حية ! مرآة مفجوعة ! ...

سعداء هؤلاء الذين يحكي قلبهم مرآة ؛ يدعون صور الرثيات تنزلق عليها ، ويزيلونها متى شاءوا ، فينسى كل قلب ما احتواه ؟ ... كل ما سر أمامه ! كل ما شاهده ! كل ما سدد إلى عواطفه ! . إلى حبه ! ... كم أتألم ! ...

وخرجت ، وعلى غير وعي ! على غير إدراك ؛ دلفت إلى المقابر . ثم رأيت رسمها بسيطاً جداً ... رأيت صليباً من الرخام نقشت عليه هذه الكلمات ! ...

« أحبتني وأحببتها ثم ماتت » !

كانت هناك ! في أسفل ! عظاماً نخرة ! يا للهول !

لبثت هناك طويلاً ، طويلاً . . . ولما أقبل الليل قامت في نفسي رغبة غريبة ، رغبة مجنونة ، رغبة نفس قانطة ! تشوفت إلى قضاء الليلة قريباً منها . . . ليلة أخيرة أذرف دمعي على قبرها !

ولكنهم سيبصرون بي وسيطردونني ؛ فما العمل ؟ . . .

نهضت ، وأخذت أضرب في مدينة الموتى هذه . . . مضيت ! مضيت ! كم هي صغيرة هذه المدينة إلى جانب أختها ؛ تلك التي نراها ، ومع ذلك فالأموات أكثر عدداً من الأحياء

وإنه لمن المفارقات حقاً أن تكون كل هذه الدور الفخيمة ، والميادين الفسيحة ؛ كل هذه المساحة الشاسعة للأحياء القليلين ، يرقبون النهار ليتنفس ، ويكرعون ماء الينابيع وسلاف الكروم ، وينعمون بخيرات السهول ، بينما لا يكون لكل أجيال الموتى شيء . . . حقل . . . تقريباً لا شيء . تستردهم الأرض . تجعلهم نسياً منسياً . . . تبتلعهم . . . ثم الوداع ! . . .

وفي نهاية القبور المأهولة ، أبصرت فجأة القبور المهجورة ، حيث بليت جسوم الموتى على طول الزمن وتم اختلاطها بالثرى ! حيث الصلبان نفسها قد تداعت . . . وحيث يرقد في اللحد هؤلاء الذين قدر لهم أن يفنوا . . . مكان ملىء بالورود المبعثرة ، وأشجار السرو السوداء السامقات . . . حديقة حزينة شاسعة تعيش على جثث البشر . . .

وكنت هناك وحدي فتسللت شجرة خضراء وتواريت بين أفنانها الغليظة الظليلة كفريق يتشبث بما يصادفه . . .

* * *

ولما احلولك الليل . . . غادرت مكمني ومشيت في خطوات وئيدة ، في خطوات مخنوقة ؛ على هذه الأرض المفعمة بالموتى . . . وأخذت أجول طويلاً طويلاً دون أن أقف لقبرها على أثر . . . الذراعان ممدودتان . . . العينان مفتوحتان . . . متلمساً القبور بيدي ، بقدمي ، بساقي ، بصدري ، برأسي نفسه . . . !

مضيت كضرير يتلمس طريقه . . . لمست الأحجار ، والصلبان ، والنوافذ الحديدية ، والتيجان الزجاجية ، والأكاليل الزهرية الجافة . . .

ورحت أقرأ الأسماء بأصابعي أمر بها على الحروف . . . يا لها ليلة ، يا لها ليلة ! لم أجد قبرها . . .

وكان القمر غائباً فاستولى علي الخوف ، وخوف مروع في هذا المكان الموحش . . . بين صفين من القبور . . . !

القبور ! القبور ! القبور . . . !

قبور . . . إلى اليمين وإلى اليسار . . . إلى الأمام وإلى الخلف . . . في كل صوب قبور . . . !

تهالكت على واحد منها ، لأني لم أستطع أن أتابع السير أكثر من ذلك . . . لأن ساقي كانتا تلتويان . . . أصخت بأذني أصغي لوجيب قلبي . . . أصغي أيضاً لشيء آخر . . . ماذا . . . ؟ نبأة مبهمة لا اسم لها . . . أكان ذلك في رأسي المجنونة . . . أكان ذلك في غبش الليل الضارب سجوفه وأسداله ، أم تحت الأرض الخفية . . . تحت الأرض المزروعة بجثث البشر ؟ !

كم من الوقت مكثت هناك ؟ لا أدري . . . غدوت جميداً من الخوف . . . أصبحت غلاً من الرعب . . . على أهبة الصياح . . . على أهبة الموت . . . وفجأة ، خيل إلي أن لوح الرخام الذي كنت جاثماً فوقه قد تحرك . . . حقاً ، تحرك كما لو كان قد رفع . . . وبفطرة واحدة ألقيت بنفسي على الجدث المجاور . . . وشهدت . . . نعم ، شهدت الحجر الذي غادرته قد انتصب واقفاً

وظهر الميت ... هيكل عظمي ليس غير ... ! وإن كان الليل وقتذاك قد نشر على الكون ذوائبه . . . فقد رأيت . . . رأيت جيداً على الصليب هذه الكلمات : (هنا يرقد « جاك أوليفان » المتوفى في الواحدة والخمسين من سني حياته ، كان محباً لذويه ، شريفاً ، طيب القلب ... وتوفي إلى رحمة الله ... !)

ولما قرأ الميت هذه الكلمات المنقوشة على قبره ، انحنى إلى الأرض ، والتقط قطعة من الصخر ... قطعة صغيرة مدببة ... وأخذ يزيل هذه الكلمات بعناية ودقة ... أزالها من آخرها ببطء وهدوء ، محدقاً بعينيه الواسعتين في المكان الذي كان منذ برهة متوارياً فيه ... وبطرف العظمة التي كانت يوماً ما سبابته ... كتب بحروف براقة لامعة :

« هنا يرقد « جاك أوليفان » المتوفى في الواحدة والخمسين من سني حياته ، تعجل بقسوة قلبه موت أبيه ليرثه ، عذب زوجه ، أشقى أولاده ، خدع جيرانه ، سرق كل ما استطاع سرقته ، ومات شقياً ... ! »

... ولما انتهى الميت من كتابته أخذ يشهد نتيجة عمله ... ولاحظت في عودتي أن كل القبور قد فتحت ، وأن كل الهيا كل العظمية خرجت منها ، وأن الجميع مسحوا تلك الأكاذيب التي خطها ذووهم على قبورهم ليموهوا على الناس ؛ ورأيت أنهم كانوا جميعاً قساة القلوب ، حقودين ، مرائين ، كذابين ، خبثاء ، مغترين ، حساداً ... رأيت أنهم سرقوا وخدعوا وارتكبوا كل الأفعال المخجلة ، ووسموا بكل خلق دنيء . . . وهؤلاء الآباء المطيعون ... هؤلاء الزوجات الوفيات ... هؤلاء الأبناء المخلصون ... هؤلاء الخفيدات العفيفات ... هؤلاء الرجال وهؤلاء النساء ... لا لوم عليهم جميعاً ، لأنهم لا يستطيعون أن يقرروا الحقيقة المؤلمة ... !

وراحوا جميعاً يخطون في وقت واحد على عتبة مسكنهم الأبدي الحقيقة القاسية ، الحقيقة المروعة ، الحقيقة المقدسة التي يجهلها الجميع أو يتجاهلونها وهم على قيد الحياة ... !

وأيقنت أنها لا بد قد قامت تكتب على جدثها ، وبدون أدنى خوف الآن ... فركضت وسط التوابيت نصف المفتوحة ، وسط الجثث ، وسط الهياكل العظمية ... مضيت إليها واثقاً أني سأجدها في الحال ... ورأيتها من بعد ... من غير أن أستجلي وجهها ، لأنها كانت قد غطته بالكفن ... وعلى الصليب الرخامي الذي قرأت عليه منذ برهة :

« أحبتني وأحببتها ثم ماتت ! »

لمحتها تكتب : « خرجت يوماً لتخون زوجها ، فأصابها برد تحت شؤبوب منهمر وماتت ! »

ورأيتني أهوي إلى الأرض مغشياً عليّ . وفي اليوم التالي وجدوني مسجى إلى جانب مقبرة ... !

« المنصورة »

كمال أحمد رستم

الفرقة القومية المصرية

من الجمعة ١٩ ديسمبر والأيام التالية

كوميدي دراماتيك الشائرة الصغيرة ٤ فصول

إخراج فتوح نشاطي

تأليف فلكس دوكنيل وأندريا بارد

ترجمة روفائيل جبور

الخميس والجمعة والأحد ماتينيه فقط الساعة ٦

الأيام الأخرى سواريه الساعة ٨ر٤٥

مسرح حديقة الأزبكية - تليفون ٥٦٣٤٠

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)